الحروب الصليبية في أعمال المؤرخين الفرنسيين حتى نهاية القرن العشرين

ـ دراسة في التدوين التاريخي ـ

أ.م.د. مصعب حمادي نجـم الزيدي *

تأريخ التقديم: ٢٠١٨/١٠/١٨ تأريخ القبول: ٢٠١٨/١٠/٢٢

مقدمة :

لم تحظ الدراسات الصليبية التي انجزتها فرنسا باهتمام الكثير من الباحثين العرب والمسلمين على حد سواء على الرغم من أهمية الحروب الصليبية التي امتدت لقرنين من الزمن (٤٩٠-٦٩٠هـ/١٠٩٦-١٢٩١م) والتي كانت محور الصراع بين الغرب والشرق في العصور الوسطى[١] وفي الوقت الذي عكف فيه العديد من المؤرخين الفرنسيين على دراسة تلك التجربة الغربية وقدموا الكثير من الكتابات الشاملة وبمختلف المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية عن تلك الحروب منذ قرون من الزمن، نجد أن الشرق الإسلامي الذي تعرض للغزو الصليبي كان ضحية الاحتلال الغربي على العكس من ذلك فلم يقدم باحثوه سوى القليل من الدراسات التي لا تتناسب وما صدر من مؤلفات في الغرب الأوربي بشكل عام وفي فرنسا بشكل خاص .

ومن هذا المنطلق رأينا كتابة هذا البحث الذي هو محاولة تبحث في واقع الدراسات الصليبية في فرنسا وعرض ما كتبه مؤرخوها عن الشرق الإسلامي خلال حقبة الاحتلال

* كلية الآداب/ قسم التاريخ/ جامعة الموصل .

(١) لم يتطرق الباحث الى الحروب الصليبية من حيث تعريفها وبيان أسباب قيامها ونتائجها وما جرى فيها من أحداث حينذاك والتي أفاضت في ذكرها الكثير من المراجع العربية والأجنبية ، وذلك لعدم ارتباطها الفعلي بموضوع الدراسة التي اقتصرت على متابعة التطور في الكتابة التاريخية للمدرسة الفرنسية عن الحروب الصليبية وعرض انجازات المؤرخين الفرنسيين عنها حتى نهاية القرن العشرين. ويمكن للقارئ الاطلاع على تفاصيل تلك الحروب بالرجوع الى: سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى ، ط٢(القاهرة:١٩٧١م)،ج١،ج٢ ؛ قاسم عبده قاسم ، ماهية الحروب الصليبية (الكويت:١٩٩٠م)؛هانز ابراهارد ماير ، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة : عماد الدين غانم(ليبيا:١٩٩٠م) .

الصليبي، ويرجع اختيار عنوان موضوع البحث أعلاه إلى أسباب عدة أولها :عدم وجود دراسة سابقة باللغة العربية بحسب علمنا تتناول الموضوع الذي نحن بصدده ، وثانيها : بيان دور فرنسا وما قدمه مؤرخوها من انجازات علمية ثرية في مجال الدراسات الصليبية مقارنة ببقية المدارس التاريخية الأوربية الأخرى، وثالثها: تسليط الضوء على مراحل تطور الكتابة التاريخية الفرنسية عن الحروب الصليبية والتي كانت مؤلفاتها قد كتبت في حقب تاريخية مختلفة تساير هذا التطور منذ بداية القرن السابع عشر حتى نهاية القرن العشرين ، لذا اقتضت خطة البحث تقسيمه الى ثلاثة محاور أساسية، الأول تطرق الى : أعمال المؤرخين الفرنسيين في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، والمحور الثاني : ضم أعمال المؤرخين الفرنسيين في القرن التاسع عشر ، أما المحور الثالث: فتناول أعمال المؤرخين الفرنسيين في القرن العشرين .

ومع أهمية هذه الدراسة الجديدة الطرح على الأقل في جامعات العراق إلا أنها ربما لا تنصف المساهمات المهمة التي قدمتها فرنسا في مجال الصليبيات لاعتمادنا على المادة المهمة المتوافرة لدينا والتي أوردتها المراجع الأجنبية المعربة عن اللغات الفرنسية والألمانية والانكليزية والروسية فضلاً عن ما قدمته المراجع العربية الحديثة من معلومات مهمة حول الموضوع ذاته وذلك بسبب تعذر الوصول إلى بعض النصوص الأصلية لكتابات المؤرخين الفرنسيين عن الشرق خلال عهد السيطرة الصليبية .

سيطرت فكرة الحروب الصليبية على قلوب الأوربيين الغربيين وعقولهم ، أثر الروح الهستيرية والتهور لدى المشاركين في الحملات الصليبية التي اتجهت نحو الشرق لاسيما أنه لم يكن هناك ادراك لمدى القوة العسكرية في بلاد الشام وفلسطين ومصر، ولم يكن يعرف إلا القليل منهم عن الظروف الطبيعية التي سيقاتل فيها الجيش ، والمثير في الأمر كيف تمكن القادة الصليبيون من تحريك جيوشهم في المسافات الشاسعة المشمولة بالقتال بوسائط النقل المتوافرة آنذاك مدفوعة بعوامل مختلفة كانت وراء نشاط الحركة الصليبية[١] ولعل تلك الحروب الصليبية تستخدم اليوم لإعطاء معنى للأحداث المعاصرة بل عدها

(١) و. مونتكمري واط ، تأثير الإسلام على أوربا في العصور الوسطى ، ترجمة :عادل نجم عبو (الموصل:١٩٨٢م)،ص٨٨ .

بعض الباحثين الحديثين بأنها((الصور المعبئة واللحظات المدهشة، والأبطال الفاتحين لإلهاب الطاقات الوطنية وتضخيم السمات المميزة لعبقرية كل شعب باستخدام الأعداء كاستثماره دفاعية))[١] .

وتعود جذور الصلات الأولية بين فرنسا وحضارة العالم الإسلامي وتاريخه إلى وقت مبكر منذ عصر الفتوحات الإسلامية بعد أن استولى المسلمون على بعض مقاطعاتها في العصر الأموي إذ أنها كانت المعبر الذي شكل حلقة الوصل بين الأندلس وبين أوربا لاسيما عبر مدينة طليطلة في وقت كانت صقلية قد شكلت معبراً آخر الى ايطاليا ، وظلت أهمية هذه المعابر قبل اندلاع الحروب الصليبية وبعدها[٢] .

وكانت الصلة الحقيقية بين فرنسا والشرق قد ازدادت فاعلية ونشاطاً بقيام الحروب الصليبية وانشاء طرق للتجارة وتبادل السفراء وتعاقب الرحلات واستمرت صعوداً في العصر الحديث حتى انطلاق الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت(١٧٦٩-١٨٢١م)التي احتلت شمال أفريقيا واتجهت نحو مصر ما بين سنتي(١٧٩٨-١٧٩٩م) واستحواذها على قناة السويس وآخرها الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان ، وقد كانت الصلات متعددة ومتنوعة ومتعاقبة اختلط فيها الحرب والسلم والتجارة والثقافة جميعاً[٣] فضلاً عن أن البحث في تاريخ هذه الحروب واستقصاء أحداثها وما انجزه مؤرخيها من أعمال ما زال مستمراً في الغرب الأوربي لاسيما أن أحد أهم ما تركته الحروب الصليبية من آثار هو انتقال التوازن الدولي إلى غرب أوربا والتي كانت فرنسا لها النصيب الأكبر فيه ، ولتلك الحروب يرجع الفضل في رفع مستوى فرنسا إلى ذلك المقام في العصور

---

(١) بشارة خضر، أوربا وفلسطين من الحروب الصليبية حتى اليوم(بيروت:٢٠٠٣م)، ص٦٢ ؛
Mohammed Arkoun ,L Islam dans l attente de l Europe, Le Monde diplomatique(decembre:1994),p.24 .

(٢) محمد فتح الزيادي ، الاستشراق أهدافه ووسائله (دمشق:٢٠١١م)، ص٨٤ ؛ حسين يوسف وآخر ، مدخل إلى الاستشراق ، الدلالة ـ التاريخ ـ المنهج (الموصل:٢٠١١م)،ص١١٧ .

(٣) نجيب العقيقي ، المستشرقون ، موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتى اليوم ، ط٣(القاهرة :١٩٦٤م)،ج١، ص١٥١ .

الحديثة ولا شك أن أول نداء قد وجه من أجل الحروب الصليبية كان من فرنسا وأول من لبى النداء فرسانها آنذاك[١] .

فقد كان للهزائم المتكررة التي مني بها الصليبيون وأخرها سقوط عكا في قبضة الملك الأشرف بن السلطان المملوكي المنصور قلاوون نهاية مأساوية لمسرحية الحروب الصليبية في الشرق الإسلامي، إذ أن الصليبيين عادوا إلى أوربا يحملون معهم ذكريات مرة ودروساً صعبة في الشرق لأبناء جلدتهم واخوانهم الأوربيين[٢] وفي هذا الصدد ذكر عاشور((وهكذا دالت دولة الصليبيين في الشرق ، وظلت ذكريات الشام ومصر ولويس التاسع عالقة في أذهان الفرنسيين دون غيرهم ، أو على الأقل أكثر من غيرهم من الشعوب الغربية التي أسهمت في الحركة الصليبية ، ومن ذلك الوقت والفرنسيون يحرصون على بقاء صلتهم قوية بالشرق الأدنى والبلدان العربية وبخاصة بلاد الشام وينظرون إلى هذه المنطقة على أنها منطقة نفوذ لهم على الأقل في المجال الحضاري وذلك حتى كانت حملة بونابرت على مصر والشام ، فرأى الفرنسيون فيها إحياء لنفوذهم القديم في الشرق الأدنى على عصر الحروب الصليبية))[٣].

وعندما انتهت الحروب الصليبية بدأت الرؤية الأيديولوجية تزداد وضوحاً لدى علماء الغرب الأوربي ولاسيما لدى المؤرخين الذين كانوا يتطلعون إلى الشرق ، وبعد أن ألقت القوى الصليبية سلاحها واعترفت بهزيمتها وانتهت مرحلة من مراحل العدوان الصليبي بنجاح المماليك في طرد الصليبيين من عكا في سنة(٦٩٠هـ/١٢٩١م) اتجه بعض المتحمسين من الباحثين في الغرب الأوربي في التفكير بأسباب هذه الهزيمة وظهرت في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين مشروعات كثيرة لإعادة الكرة ومحاولة

(١) زكي النقاش ، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية (بيروت:١٩٥٧م)،ص٢١٢ ؛ رمسيس عوض ، من أوراق الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش في فرنسا (القاهرة:٢٠١٢م)،ص١٩-٢٠ .

(٢) محمود المقداد ، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا(سلسلة عالم المعرفة ، الكويت :١٩٩٠م)، ص١٧ .

(٣) الحركة الصليبية ،ج٢،ص١٢٦١ .

اقتحام بلاد المسلمين من جديد[١] وتمثل ذلك برد فعل مثير قامت به البابوية لإعادة تنظيم حملات جديدة وإظهار فيليب الرابع **Philippe IV** ملك فرنسا(٦٨٤-٧١٤هـ/١٢٨٥-١٣١٤م) رغبة في قيادتها ودعمها ، وبصرف النظر عن الأسباب والدوافع الكامنة وراء قيامها والتي أفاض في شرحها العديد من المؤرخين يلاحظ أن تلك المرحلة شهدت لجوء كل من البابوية والملك الفرنسي إلى خبراء في شؤون الشرق بشكل عام والمسلمين بشكل خاص طالبين منهم إعداد دراسات عرفت باسم : استعادة الأراضي المقدسة**De Recuperatione Terrae Sanctae**[٢] وقد كثرت الكتابات حول هذا الموضوع لدرجة أن أحد الباحثين الفرنسيين المحدثين أطلق على تلك الحقبة الزمنية اسم عصر المنظرين (**La Periode des Theoriciens**)[٣] .

ومن أبرز هؤلاء المنظرين الفرنسيين بيير دوبوا **Pierre Dubois** [٤] الذي وضع دراسة عن الأراضي المقدسة في فلسطين وكيفية استعادتها من المسلمين وقدمها للملك الفرنسي فيليب الرابع سنة(٧٠٦هـ/١٣٠٦م)[٥] التي قام بنشرها فيما بعد الباحثان الفرنسيان لانجوا وكولون في باريس سنة(١٨٩١م) كما وضع دوبوا دراسة أخرى بنفس العنوان سنة (٧٠٨هـ/١٣٠٨م) وقدمها للبابا كليمنث الخامس **Clement V** (٧٠٥-٧١٤هـ/١٣٠٥-١٣١٤م) الذي كان مقيماً في مقاطعة أفنيون **Avignons** ومسايراً بذلك الملك الفرنسي، إلا أن تلك الدراسة فقدت لأسباب مجهولة ، وفضلاً عن ذلك أضيفت أفكار جديدة في

---

(١) يحيى مراد ، معجم أسماء المستشرقين (بيروت:٢٠٠٤م)، ص٥٢-٥٣ .

(٢) محمد عبد العزيز عزيز،" تخطيط الغرب لإعادة إقامة الكيان الصليبي بعد سنة١٢٩١م"، ضمن كتاب بحوث في تاريخ العصور الوسطى(الأسكندرية:٢٠٠٤م)، ص٤٦٨ .

(3)**Brehier Louis, L Eglise et Lorient au Moyen Age (paris:1928),p.17** .

(٤) كاتب ومؤرخ ومحام وسياسي فرنسي عاش في الحقبة الممتدة (٦٤٨-٧١٢هـ/١٢٥٠-١٣١٢م) في أيام حكم الملك فيليب الرابع وخدمه وألف عدة كتب عن السياسة وفي التاريخ منها كتابه عن الحروب الصليبية (استعادة الأراضي المقدسة أعلاه) . ينظر: أرنست باركر، " الحروب الصليبية " ، ضمن كتاب تراث الإسلام ، ط٢(بيروت:١٩٧٢م)، ص١١٨ .

(٥) ناقش الباحث محمود سعيد عمران الدراسة أعلاه في بحثه الموسوم " أفكار بيير دوبوا لاستعادة الأراضي المقدسة ١٣٠٦م" ، ضمن أعمال مؤتمر بلاد الشام في فترة الصراع الإسلامي الفرنجي (جامعة اليرموك ، الاردن :٢٠٠٠م)،ج١، ص٢٥-٤٨ .

دراسة ثالثة سنة(٧٠٩هـ/١٣٠٩م)ألحقها الباحث برندات بترجمته للدراسة الأولى . ويلاحظ أن أراء دوبوا عكست التصور الفرنسي الذي لا زال مناصروه يدعمونه حتى اليوم والذي يرى في الإمارات اللاتينية في الشرق باكورة حركة التوسع الفرنسي اللاحق عبر البحار **Outremer** كون غالبية الصليبيين الذين استقروا في تلك الإمارات وحكامها كانوا فرنسيي الأصل(١) .

واللافت للنظر أن فرنسا كانت ولا زالت من أكثر الدول الأوربية اهتماماً بدراسة تاريخ الحروب الصليبية وحملاتها المتعددة ضد الشرق الإسلامي ويعود ذلك إلى أسباب عدة لعل أولها كان : الدور الكبير الذي أداه الفرنسيون في هذه الحروب التي استمرت مدة طويلة من الزمن إذ أنهم نظروا إلى التاريخ الصليبي في العصور الوسطى على أنه جزء من تاريخ فرنسا ، وثانيها : ازدهار الحركة الأدبية في فرنسا في القرن السابع عشر الميلادي ، وثالثها : التوجه الاستعماري الذي كانت تتبعه السياسة الخارجية الفرنسية . ففي سنة(١٥١٧م) استدعى الملك الفرنسي شارل الثامن **Charl VIII**(١٤٨٣-١٥١٩م) المؤرخ الايطالي باولو إميليو **Paolo Emilio** من مقاطعة فيرونا وطلب منه تأليف كتاب شامل عن تاريخ ملوك فرنسا فتم له ما أراد ، وقد تناول الجزء الرابع من هذا الكتاب دراسة الحروب الصليبية المقدسة التي خاضها الملوك الفرنسيون وتميزت معالجته التاريخية بالواقعية وبعدها أخذ مستوى الكتابة التاريخية في فرنسا بالتطور، وبدأ الفرنسيون في جمع وتحقيق مصادر الحروب الصليبية المتوافرة باللغات المختلفة(٢) هذا وسيتم تناول البحث على وفق المحاور الآتية .

أولاً : أعمال المؤرخين الفرنسيين في القرنين السابع عشر والثامن عشر

وكان العمل الحقيقي في فرنسا في مجال دراسة تاريخ الحروب الصليبية قد بدأ منذ بداية القرن السابع عشر الميلادي وتحقق فعلاً عندما قام جاك بونجارز **Jacques**

(١) عزيز،" تخطيط الغرب " ، ص٤٧٢-٤٧٤ .

(٢) منى جمعة حماد " تطور الكتابة التاريخية عن الحروب الصليبية في الغرب الاوربي من القرن الثاني عشر وحتى القرن العشرين" ، ضمن أعمال مؤتمر بلاد الشام في فترة الصراع الإسلامي الفرنجي (جامعة اليرموك ، الاردن :٢٠٠٠م)،ج١، ص٧٥-٧٦ .

Bongars الذي عمل في خدمة الملك الفرنسي هنري الرابع **Henri IV**(١٥٥٣-١٦١٠م) بتأليف كتاب عن تاريخ الحملات الصليبية عرف بمجموعة بونجارز (أعمال الفرنج)**Bongars: Gesta Dei per Francos** التي صدرت بمجلدين في مدينة هانوفر **Hanover** في سنة١٦١١م [١]وضمت العديد من المصادر التاريخية عن عصر الحروب الصليبية أمثال مؤلفات توديبود**Tudebode** وروبرت موان**Robert Moine** وبودري دول**Baudri Dol** وفوشيه الشارتري **Folcher Chartres** ووليم الصوري **William Tyre**وجاك الفيتري**Jacques Vitry** ومارينو سانودو **Marino Sanudo** .[٢]

والجدير بالذكر هنا أن الكتاب الذي وضعه بونجارز كان على غرار ما كتبه مؤرخ الحملة الصليبية الأولى في الغرب جيبرت نوجنت **Guibert Nogent** (٤٤٥-٥١٨هـ/١٠٥٣-١١٢٤م) الذي نقلت إليه أنباؤها فدون تاريخها آنذاك ، كما أن مجموعة بونجارز حملت نفس عنوان كتاب جيبرت أعمال الرب التي انجزها الفرنجة **Gesta Dei Per Francos** وهو عبارة عن تجميع للمصادر الأولية المتعلقة بتاريخ الحروب الصليبية، غير أن الروح الوطنية الكاثوليكية الفرنسية المتعصبة جداً للحروب الصليبية منعت الفرنسيين من دراسة هذه الحروب بصورة موضوعية حينذاك[٣] هذا فضلاً عن المجموعة الأخرى المهمة التي جمعها أندريه وفرانسوا دوشسين **Andre and Francois** عن التواريخ الفرنجية ومصادر الحروب الصليبية ، ونشرها في باريس في خمسة أجزاء خلال المدة(١٦٣٩-١٦٤٩م) ، واحتوت على جميع مؤلفات المؤرخين الفرنسيين حتى عهد الملك الفرنسي فيليب الرابع أمثال راؤل جلابير**Raoul Glaber** وسوجير دنيس **Suger Denis**وبيتر توديبو**Pierre Tudebode** ووليم بريتون**Guillaume Breton** ووليم الطرابلس**Guillaume Tripoli**[٤] .

---

(١) باركر، الحروب الصليبية ، ترجمة : الباز العريني ، ط٢(بيروت:١٩٦٧م)، ص١٨٥-١٨٦؛ الباز العريني ، مؤرخو الحروب الصليبية (القاهرة :١٩٦٢م)، ص٧ .

(٢) محمد مؤنس عوض ، فصول ببليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية(الهرم:١٩٩٦م)،ص٤٥ .

(٣) جمعة " تطور الكتابة التاريخية ،ج١، ص٧٦ .

(٤) عوض ، فصول ببليوغرافية، ص٤٦ .

ولم يقتصر الدور الفرنسي على هاتين المجموعتين بل ظهرت في القرن الثامن عشر مجموعة ثالثة عرفت بمجموعة مؤرخي الغال وفرنسا التي أصدرها الرهبان البندكتيون في سبعة وعشرين جزءً في باريس خلال المدة(١٧٣٨-١٨١٨م) ، والتي كانت بمثابة أول مجموعة ضخمة شملت التاريخ القومي في أوربا ، وتصدى المؤرخ بواكيه **Bouquet** لنشرها في باريس سنة(١٧٣٨م) فصدر منها ثلاثة عشر جزءً وتوقف صدور الاجزاء الأخرى بسبب اندلاع الثورة الفرنسية سنة(١٧٩٨م) ثم عادت بعدها للصدور، على أن المجموعة المذكورة صدرت بطبعة ثانية نشرها المؤرخ ديليل **Delisle** في باريس للحقبة الممتدة (١٨٦٨-١٨٨٠م) ويلاحظ أنها اقتصرت على الأجزاء التسعة عشر الأولى ، ومهما يكن من أمر فإن هذه المجموعة أظهرت حرص الفرنسيين على مواصلة العمل لأجل جمع تراث بلادهم القومي[١] .

ومن مؤيدي الاتجاه الحديث في دراسة الحروب الصليبية المؤرخ الفرنسي دي جويجني**De Guignes** مؤلف كتاب تاريخ الهون**History of the Huns** الذي صدر في فرنسا سنة (١٧٥٦م) وقال فيه عن الحروب الصليبية ((لقد ظهر من بين الفرنجة عدد كبير من الناس المجردين من الورع والتقوى والمحملين بالخطايا والذنوب غادروا أوربا إلى آسيا من أجل الحصول على الغنائم والانغماس في الشهوات والمعاصي بدعوى التوبة ، إن جرائمهم التي ارتكبوها ضد اعدائهم وقدرتهم على دمج الدين ضمن قيم الفروسية جعلت الأجيال في العصور المتنورة تشعر بالاشمئزاز تجاه هذه الحروب التي قامت باسم الدين ، وهذه الحروب لم تجلب إلى أوربا سوى التناحر والفرقة والعداء والتعصب لكل ما هو خارج عن اطار المسيحية الكاثوليكية))[٢] .

---

(١) علي الغمراوي ،" تقرير ببليوغرافي عن بحوث فرنسا ونشراتها في القرن الثامن عشر" (مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة محمد بن سعود:١٩٨٣م)،ع٧،ص١١٠-١١١ .

(2)**De Guignes ,History de Huns(Paris:1756),Tom,I,p.11** .

ثانياً : أعمال المؤرخين الفرنسيين في القرن التاسع عشر

لم تتوقف النظرة العدائية تجاه الحروب الصليبية في أوربا إلا في القرن التاسع عشر[١] الذي شهد ظهور الحركة الأدبية الرومانسية والتي جاءت رد فعل على الحركة العقلانية التي سادت في القرن الثامن عشر فقد نظر مؤرخو وأدباء هذه الحركة نظرة رومانسية إلى الحروب الصليبية وكتبوا عنها بحماس دون الاهتمام بفهم أو نقد تاريخها، ثم تراجعت هذه التوجهات الرومانسية بعد حملة نابليون ضد مالطة في سنة(١٧٩٨م)التي كانت تعد أخر معقل لفرسان تنظيم الداوية[٢] الذي يعود تشكيله إلى الحقبة المبكرة من تاريخ الحروب الصليبية[٣] .

ثم عاد الفرنسيون مرة أخرى إلى الصدارة في مجال دراسة الحروب الصليبية لاسيما عقب حملة نابليون ضد مصر في السنوات بين(١٧٩٨-١٧٩٩م) التي كانت نقطة

---

(١) يرجع اهتمام الأوربيين بدراسة الحروب الصليبية إلى مطلع القرن التاسع عشر عندما أعلن المعهد الفرنسي **Institute de France** سنة١٨٠٦م عن جائزة لأفضل عمل يتناول هذه الحروب وأثرها على حرية المواطن الأوربي والمدنية والحضارة والثقافة والتجارة والصناعة ، وفاز بالجائزة أستاذ التاريخ بجامعة جونتجن هيرين **A.H.L. Heeren** الذي كتب مقالة اقتبس معظم معلوماتها من كتاب أعمال الفرنج لبونجرز المنشور في هانوفر سنة١٦١١م الذي كان المصدر الأساسي لبحثه ، وفي بداية القرن التاسع عشر كانت مهمة جمع الروايات الغربية عن الحروب الصليبية وتحريرها وترجمتها لا تزال في بدايتها وكان الرهبان البندكتيون قد بدأوا هذه المهمة لكن الثورة الفرنسية تسببت في توقفها وفي النهاية استكملت المهمة بالشروع في نشر مجموعة ضخمة تتضمن أهم مصادر الحروب الصليبية العربية والسريانية والأرمنية والجورجية واللاتينية وتولت أكاديمية المخطوطات والآداب في باريس نشر هذه المصادر بلغاتها الأصلية وبترجمتها الفرنسية جنباً إلى جنب مع تعليقات مفصلة وفهارس سهل الرجوع إليها . ينظر: ماير ، تاريخ الحروب ، ص٣ ؛ إليزابيث سيبيري، " صور من الحروب الصليبية في القرنين التاسع عشر والعشرين " ، ضمن كتاب تاريخ الحروب الصليبية ، تحرير :جوناثان رايلي سميث، ترجمة وتقديم وتعليق: قاسم عبدة قاسم (القاهرة:٢٠٠٩م)،ج٢، ص٣٤٦ .

(٢) تنظيم الداوية : تنظيم عسكري صليبي كبير ، عرف باسم فرسان المعبد أو فرسان الداوية ، كان قد تأسس في عهد الملك الصليبي بلدوين الثاني **IIBaldwin**(٥١٢-٥٢٦هـ/١١١٨-١١٣١م)، في مدينة القدس بعد استقرار الصليبيين في بلاد الشام . وللمزيد . ينظر : نبيلة ابراهيم مقامي ، فرق الرهبان الفرسان في القرنين الثاني عشر والثالث عشر(القاهرة:١٩٩٤م)، ص ١٦-١٧ .

(٣) حماد " تطور الكتابة التاريخية "،ج١، ص٧٨ .

البداية في تجديد اهتمام الغرب الأوربي في الشرق ودراسة ماضيه وحاضره ، ولعل أول من سار في هذا الاتجاه المؤرخ الفرنسي جوزيف ميشو **Josef Micaud** (١٧٦٧-١٨٣٩م) الذي ألف كتاباً مطولاً بعنوان تاريخ الحروب الصليبية **Histoire des Croisades** من ستة أجزاء واستغرق في تأليفه مدة طويلة قاربت السبع سنوات[١] على أن هدف ميشو من اصدار هذا الكتاب حسب رأيه هو اثبات أن الحروب الصليبية كانت ضرورة عسكرية ملحة لأجل انقاذ العالم المسيحي من خطر الأتراك المسلمين، كما أن الاتصال مع الشرق أدى إلى تطور العلوم والآداب في أوربا[٢] ويذكر أن ميشو كان قد نشر أغلب أعماله ودراساته الصليبية في باريس منذ سنة(١٨٢٩م)[٣] وأهمها على الاطلاق مكتبة الحروب الصليبية **Bibliotheque des Croissades** وهي عبارة عن نصوص مستخرجة من المصادر التاريخية الأصلية للحروب الصليبية ترجمها ونشرها بأربعة أجزاء في باريس ما بين سنتي(١٨٢٩-١٨٣٠م)[٤] على أن هذا العمل الأخير كان قد نشره لأول مرة في باريس وصدرت طبعته الأولى سنة(١٨٢٢م)حسبما أشار

---

(١) يذكر المؤرخ البريطاني الشهير ستيفن رنسيمان أن المؤرخ الفرنسي ميشو نشر تاريخه الضخم في باريس في السنوات الواقعة بين١٨١٧-١٨٢٢م. ينظر: تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة : الباز العريني ، ط٢(بيروت:١٩٨١م)، ،ج١، ص١١ ؛ وهناك من ذكر الكتاب بعنوان آخر هو تاريخ الصليبية وأنه طبع عدة مرات وآخرها الطبعة الخامسة في باريس سنة ١٨٣٦م. ينظر: العقيقي، المستشرقون،ج١، ص٢١٥، هامش رقم (١) ؛ وكان هذا الكتاب قد ترجم من الفرنسية إلى الانكليزية بثلاثة أجزاء وصدر في بريطانيا بعد منتصف القرن التاسع عشر الميلادي. ينظر:

History of The Crusades, Translated from the French By W .Robson(London:1852).

(٢) حماد " تطور الكتابة التاريخية "،ج١، ص٧٨-٧٩ .

(٣) العقيقي ، المستشرقون،ج١، ص٢١٥، هامش رقم(١) .

(٤) جوناثان رايلي سميث ، " الحركة الصليبية والمؤرخون " ، ضمن كتاب تاريخ الحروب الصليبية ، تحرير : جوناثان رايلي سميث ، ترجمة وتقديم وتعليق : قاسم عبده قاسم (القاهرة:٢٠٠٩م)،ج٢، ص٣٤٧ ؛ العريني ، مؤرخو الحروب ، ص٨ .

المؤرخ البريطاني باركر[١] وهذا الانجاز الكبير لميشو عكس بشكل واضح الجهد العلمي المتميز الذي بذله في تجميع المصادر التاريخية المختلفة ونشرها على نحو جعل عمله ما يوصف بأنه مكتبة تاريخية قائمة بذاتها ولا تفقد قيمتها على مر الزمن ولأجل أن تكون بمثابة ملحق لمجموعة مؤرخي الحروب الصليبية[٢] التي سنتحدث عنها بالتفصيل في صفحات لاحقة من البحث انسجاماً مع التتبع التاريخي لتطور أعمال المؤرخين الفرنسيين في هذا المجال.

وليس ذلك حسب بل أن ميشو كان قد تم تنصيبه فارساً من فرسان الضريح المقدس ، وسافر إلى استانبول وبلاد الشام وفلسطين(القدس) في سنة(١٨٣٠-١٨٣١م)، واكتشف الطريق الذي سارت عليه الحملة الصليبية الأولى مع أثنين من المهندسين الفرنسيين ، وبعد عودته إلى بلاده راجع ميشو كتابه تاريخ الحروب الصليبية في ضوء تجاربه وما استجد لديه من تصورات عن حقبة الحروب الصليبية، وعلى الرغم من انه كانت لديه انتقادات على سلوك الصليبيين ومدى وحشيتهم فإنه وصف الحركة الصليبية بأنها أحد الأقسام الرئيسة ذات الأهمية الفائقة في التاريخ الانساني فلم تكن تعليمية فقط ولكنها وفرت بشكل ملموس مادة مهمة جداً لرجل الدولة السياسي والفيلسوف والشاعر والروائي والمواطن[٣] .

وأعقب ميشو المؤرخ جوزيف توسن رينو **J.T .Reinaud** (١٧٩٥-١٨٦٧م) المولود في مدينة لامسك الفرنسية وكان من تلاميذ المستشرق الفرنسي سيلفستر دي ساسي**S.de Sacy**[٤](١٧٥٨-١٨٣٨م) وسار على نهجه ، وكان قد عين أميناً عاماً

---

(١) الحروب الصليبية ، ص٢٠٢ .

(٢) عوض ، فصول ببليوغرافية ،ص٤٥ .

(٣) سيبيري، " صور من الحروب الصليبية "،ج٢، ص٣٤٧ .

(٤) سيلفستر دي ساسي : هو كبير المستشرقين وعميد الاستشراق العلمي الأكاديمي الأوربي الفرنسي في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ، وكان أول أستاذ للغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية ، وأصبح مديراً وأستاذاً في الكلية الفرنسية وقام بدور كبير في وزارة الخارجية الفرنسية عندما عمل مستشاراً للسياسة الشرقية في فرنسا وقام بتأليف نشرات باللغة العربية لجيش نابليون ثم نداءه إلى الجيش الفرنسي لاجتياح الجزائر سنة١٨٣٠م . ينظر: العقيقي ، المستشرقون ،ج١، ص١٩٧ .

على جناح المخطوطات الشرقية في مكتبة باريس وعضواً في المعهد العلمي الفرنسي وأستاذاً للغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية التي تأسست سنة(١٧٩٥م) ، ثم عين رئيساً لها بعد ذلك التاريخ ، أما أبرز نتاجاته في مجال الصليبيات فكانت : ملخص ما كتبه مؤرخو العرب عن حروب الصليبيين المطبوع في فرنسا سنة(١٨٢٩م)، والحروب الصليبية من تاريخ الكامل لابن الأثير سنة(١٨٣٢م)، فضلاً عن بحوث عدة نشرتها المجلة الآسيوية[١]كانت عناوينها: تاريخ الحملة الصليبية السادسة سنة(١٨٢٦م)، وحروب الصليبيين على عهد الظاهر بيبرس سنة(١٨٢٧م)، وتقرير عن تاريخ الصليبية لميشو سنة(١٨٣٠م)، ومن أجل مؤرخي الحروب الصليبية سنة(١٨٣٤م)[٢]أما المؤرخ جوزيف ديلافيل لوركس فقدم انجازات مهمة في مجال الصليبيات لعل أبرزها كتابين ، الأول بعنوان : فرنسا في الشرق في القرن الرابع عشر ، والصادر بجزئيين في باريس سنة(١٨٨٦م)[٣]والثاني موضوعه: الأسبتارية في الأراضي المقدسة وقبرص١١٠٠-١٣١٠م المطبوع في باريس سنة(١٩٠٤م)[٤].

وقد استمرت صدارة فرنسا وتطورها في مجال دراسة الحروب الصليبية طيلة القرن التاسع عشر، فظهر بعد ميشو ورينو مؤرخ آخر كانت لإعماله دور كبير في تطور الكتابة عن تاريخ الحروب الصليبية في فرنسا بشكل خاص وفي أوربا بشكل عام وهو بول رينت **paul Raint** (١٨٣٦-١٨٨٨م) الذي اشتهر بنشره للرسائل المنسوبة إلى الامبراطور البيزنطي اليكسيوس كومنين الأول والموجهة إلى روبرت الأول I **Robert**

(١) صدر العدد الأول من المجلة الآسيوية **Asiatique journal** في باريس سنة ١٨٢٣م وهذه الدورية صادرة عن جمعية باريس الأسيوية **Sociote Asi atique de Paris** التي تأسست في سنة ١٨٢١م ، وعلى غرارها أسست في بريطانيا مجلة الجمعية الآسيوية الملكية لبريطانيا العظمى وايرلندا **Journal of the Royal Asiatit society of Great Britain and Land** في سنة١٨٣٤م . ينظر : شاخت ، تراث الإسلام ، ص٧٨ .

(٢) مراد ، معجم ، ص٤١٩-٤٢٠ .

(3)Joseph Delaville Le Roulx, La France en Orient au XIV siècle(Paris:1886)II, Tom .

(4)Les Hospitaliers en Terre Sainte et a Chypre 1100-1310(Paris:1904) .

أمير مقاطعة الفلاندرز الفرنسية إبان الحملة الصليبية الأولى ، والانجاز الأهم لرينت هو تأسيس جمعية الحروب الصليبية والشرق اللاتيني **Societe de L Orient Latin** في نهاية سنة(١٨٧٥م) والمجلة الصادرة عنها **Revue de L Orient Latin** في سنة(١٨٨٣م) في كل من باريس وجنيف وكان هدفها إكمال عمل الأكاديمية الفرنسية ومتابعة كل ما ينشر في مجموعة الحروب الصليبية ، ولقد ساهم عدد من كبار مؤرخي الحروب الصليبية في القرن التاسع عشر واشهرهم الألمانيان هاجينماير **Hagenmeyer** وروخريت **R. Rochricht** في الكتابة والنشر في هذه المجموعة الصليبية وأصدروا السلسلة التاريخية والجغرافية وعلى الرغم من أن الجمعية انجزت العديد من الأعمال القيمة إلا أنها توقفت عن العمل عقب وفاة المؤرخ رينت سنة(١٨٨٨م)[١] .

والجدير بالذكر أن أرشيف الشرق اللاتيني قد تم توثيقه وصدر عن جمعية الحروب الصليبية والشرق اللاتيني في مجلدين في باريس الأول سنة(١٨٨١م) والثاني سنة(١٨٨٤م) وضم المجلد الأول : دراسات تخص نقد المصادر ووصف المخطوطات والببليوغرافية ، كما احتوى على عدد من الوثائق والمراسيم المتعلقة بالوجود الصليبي في بلاد الشام ، وكان قد تصدى لكتابة المجلد الأول عدد من الباحثين الفرنسيين الذين ساهموا بنصيب وافر في دراسة الصليبيات في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي أمثال الكونت رينان **Comte Renan** ونيومان **Neumann** ودي كليرك **De Clercq** وديلافيل رولكس **Delaville le Roulx** ورومان **Roman** وشلومبرجيه **Schlumberger** وغيرهم ، أما المجلد الثاني : فقد صدر في باريس سنة(١٨٨٤م)ويقسم الى قسمين ، الأول: ضم عدداً من المقالات اختصت بنقد المصادر التاريخية ووصف المخطوطات ساهم فيه بعض المؤرخين أمثال روبير **Robert** وهاجنماير، والقسم الثاني: الصادر في باريس سنة(١٨٨٤م) شمل عدداً من الوثائق والخطابات المنشورة المتعلقة بتاريخ الحروب الصليبية وقام بنشرها عدد من الباحثين

---

(١) حماد " تطور الكتابة التاريخية "،ج١، ص٨٠-٨١ ؛

Aziz Suryal Atiya ,The Crusade: Historiography and Bibligraphy(Bllomington:1962),p.21 .

الأوربيين آنذاك أمثال لونفيلد **Lownfeld** والكونت رينان وروشرت**Rohricht** واتنباخ**Wattenbach** وغيرهم[١] .

ولم يقتصر عمل جمعية مؤرخي الحروب الصليبية على اصدار الأرشيفات والمنشورات المحفوظة بل تعداها الى اصدر وقائع سنوية استمرت عقداً من الزمن منذ سنة(١٨٩١م) حتى سنة(١٩٠٢م) ولم تكن تشمل نصوص جديدة فحسب بل ضمت أيضاً عرضاً لبعض الكتب المهمة فضلاً عن المقالات المتنوعة[٢] ومن هذه المقالات التي كتبها رينت عن الحروب الصليبية المنشورة في مجلة الشرق اللاتيني أواخر القرن التاسع عشر والتي جرى فيها التركيز على العامل الديني بل عده المحرك لاندلاعها وأنها قامت بصورة مباشرة أو غير مباشرة من أجل استعادة الأماكن المقدسة في فلسطين من المسلمين متجنباً الدوافع الأخرى التي شكلت المنظومة الصليبية في صورة الدوافع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها ، وعلى الرغم من أن توجه رينت لم يعد يلق التأييد الكامل من معظم الباحثين الغربيين إلا أن بعض أراءه لا زالت قائمة حتى الوقت الحاضر[٣] كون العامل الديني ظل لقرون عديدة يقدم المبرر المثالي لشن الحملات الصليبية على المسلمين في أواخر القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي لاسيما أن الحوليات الصليبية كثيراً ما أظهرت الصليبيين خلال الحقبة المبكرة من تاريخهم على أنهم جند المسيح "**Militia Christi** " [٤] انطلاقاً من نظرتهم إلى الحروب الصليبية على أنها عمل سياسي له أهميته الكبرى كان يعتنقها بإخلاص كبار العلمانيين الذين قادوا الجيوش الغربية نحو الشرق الإسلامي والكثير غيرهم ممن لا يقلون عنهم اخلاصاً

(١) عوض، فصول ببليوغرافية ،ص٣٦-٣٨ .
(٢) باركر ، الحروب الصليبية ،ص١٨٦ ؛ العريني ، مؤرخو الحروب ،ص٨ .
(٣) عوض ، الحروب الصليبية دراسات تاريخية ونقدية(عمان:١٩٩٩م)،ص١٧٠ .
(٤) عوض ، تاريخ الصليبيات ـ الصراع العالمي في العصور الوسطى ، ط٢(القاهرة:٢٠١١م)،ص٢٢ .

إلا أنهم حركتهم العاطفة أكثر مما يسيطر عليهم العقل اندفعوا وراء رغبتهم في رؤية الأماكن المقدسة وجعلها ملكاً عاماً للديانة النصرانية[١] .

هذا الى جانب التفسير الديني للحروب الصليبية ومن الأمثلة المهمة على هذا الاتجاه أن الكثير من المؤرخين عدوا الأمير الفرنسي جودفري البويوني **Godfrey Bouillon** الذي كان أول حاكم لمملكة القدس الصليبية(٤٩٢-٤٩٣هـ/١٠٩٩-١١٠٠م) أنه شخصية تقية ورعة رفض لقب ملك القدس وبالتالي لم ينظروا إليه بأنه القائد الصليبي السياسي الداهية نظرة موضوعية وتأثروا في ذلك كله بتلك الأسطورة التي راجت حوله[٢] فضلاً عن تصوير البعض للملك الفرنسي لويس السابع **Louis VII**(٥٣٢-٥٧٥هـ/١١٣٧-١١٨٠م) على أنه رجل تقي ورع واشترك في الحملة الصليبية الثانية ضد المسلمين من خلال تدينه لكن الواقع يقول عكس ذلك لأن عصر الحروب الصليبية شهد الدوافع المتعددة للحركة الصليبية ، وشهد نشاطاً فرنسياً واضحاً لفرنسا شرق البحر المتوسط والتفسير الأخلاقي للسياسة الخارجية الفرنسية حينذاك يشير إلى تغيب القضية التاريخية ، والحقيقة أن الملك لويس السابع حرص على الاشتراك في تلك الحملة من أجل كسب التأييد الشعبي في داخل فرنسا ودعم نفوذ أسرة آل كابيه ولكي يحظى بود البابوية ودعمها ويتجنب أي قرار بالحرمان من الكنيسة الكاثوليكية في روما فضلاً عن أن فرنسا منذ الحقبة المبكرة لقيام الحروب الصليبية صارت حامية حمى الكيان الصليبي الاستيطاني في بلاد الشام[٣] كما أن الباحثين الغربيين في مجال الصليبيات حريصون كل الحرص على وصف الملك الفرنسي لويس التاسع **Louis IX** (٦٢٤-٦٦٨هـ/١٢٢٦-١٢٧٠م) بالقديس لأن الملك لويس التاسع يعد بحق من أدهى دهاة السياسة الفرنسية في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي وهو الوحيد من ملوك

---

(١) هـ. و. ديفز، أوربا في العصور الوسطى ، ترجمة: عبد الحميد حمدي محمود(القاهرة:١٩٥٨م)، ص١٩٣ .

(٢) قاسم ، ماهية الحروب ، ص١٦٦ .

(٣) قدم الباحث مصعب حمادي الزيدي دراسة عن ذلك الوجود الصليبي الطارئ في الأراضي الإسلامية بعنوان: الاستيطان الأوربي الصليبي في بلاد الشام مملكة بيت المقدس انموذجاً ٤٩٢-٦٩٠هـ/١٠٩٩-١٢٩١م وهي (أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة الموصل:٢٠٠٥م) .

الغرب الأوربي الذين شاركوا في المشروع الصليبي بقيادته حملتين صليبيتين ضد مصر وتونس ومن المؤكد أن فتحه لجبهة جديدة للصراع الصليبي الإسلامي في الشمال الأفريقي يدل على تمرسه بشؤون الاستعمار في عصره الوسيط[١] .

ويرى المؤرخ المصري عوض أن الهدف من الالحاح على تلك الفكرة من جانب المؤرخين الغربيين ولاسيما الفرنسيين منهم رغبتهم في خلق نموذج ديني وحربي في آن واحد للبطولة الأوربية في العصر الوسيط من أجل استنفار الهمم في العصر الحالي . وهذا بدوره كشف حقيقة مهمة وهي أن الاتجاه العلماني الغربي لا يفرض نفسه تماماً على المعالجات التاريخية لدى الغرب الأوربي بدليل أنه عندما تحين الفرصة لطرح فكرة ذلك النموذج الديني والحربي في العصر الوسيط ينمو ذلك الاتجاه العلماني وتتكشف الجوانب الحقيقية لدى تلك العقلية في التعامل مع الظاهرة التاريخية وتوظيفها لخدمة أهدافها ومصالحها من خلال البعد الديني[٢].

وكان قد ظهر في فرنسا مشروع ضخم في الربع الأخير من القرن التاسع عشر يتناول دراسة الحركة الصليبية التي كان قد أصدرها مجمع الكتابات والآداب **Academie des Inscription et Belles Letters** الذي كان قد تأسس في سنة(١٦٦٣م) والمعروفة بمجموعة مؤرخي الحروب الصليبية **Recueil des Historiens des Croisades**[٣] وعمل على نشرها المؤرخين الفرنسيين دي سلان **De Slane** وباربيه

(١) عوض ، الحروب الصليبية ، ص١٧١-١٧٢ .

(٢) الحروب الصليبية ، ص١٧٢ .

(٣) تعرف مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية في الغرب الأوربي اختصاراً بـ **R.H.C** . ينظر: عوض ، الحروب الصليبية ، ص١٨٣ .

مينار **Barber Meynard**[١] متناً وترجمة فرنسية، تقع في ستة عشر مجلداً[٢] وشملت المجموعة المذكورة عناويناً متنوعة هي كما يأتي :

١. المؤرخون الغربيون **Historians Orientaux** (أي ما كتبه المؤرخون الغربيون عن الحروب الصليبية) وتقع كتاباتهم في خمسة مجلدات، الأول: كتاب تاريخ الحروب الصليبية الأعمال المنجزة ما وراء البحار لوليم الصوري (ت:٥٨٠هـ/١١٨٤م) مع ترجمة فرنسية، والثاني: المذيلون على كتاب تاريخ الحروب الصليبية لوليم الصوري من سنة(١٢٢٩م) حتى سنة(١٢٦١م)،والثالث: تواريخ الحملة الصليبية الأولى لعدة مؤرخين من اللاتين، والرابع: تاريخ الحملة الصليبية الأولى لمؤرخين من الفرنسيين، أما المجلد الخامس: مؤرخون آخرون من اللاتين .

٢. قوانين مملكة بيت المقدس الصليبية **Assises de Jerusalem**[٣] : وهي مجموعة نصوص فرنسية تقع في مجلدين ، تتعلق بالقوانين وأنظمة الحكم الصادرة في مملكة بيت

---

(١) مينار : مؤرخ فرنسي ولد في سنة١٨٢٧م ، وبعد بلوغه دخل في مدرسة اللغات بباريس وتخرج منها والحق بالقنصلية الفرنسية في القدس فكتب أول رسالة في الاستشراق بعث بها إلى المجلة الآسيوية الفرنسية ، وبعدها عين أستاذاً في المعهد الفرنسي للغات الشرقية والعربية ثم أصبح مديراً للمجلة الآسيوية توفي سنة١٩٠٨م. وللمزيد من المعلومات حوله . ينظر: العقيقي ، المستشرقون،ج١، ص٢١٤-٢١٥ .

(٢) واعيد نشر مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية مرة أخرى في فرنسا في ستينيات القرن العشرين ، وتعد هذه المجموعة الجديدة أفضل بكثير من سابقتها من حيث الشروح والتعليقات كما أنها فاقت المجموعة التي سبق أن نشرها بونجارز عن الحروب الصليبية . ينظر: العريني ، مؤرخو الحروب ، ص٧ .

(٣) سبق أن نشرت قوانين مملكة بيت المقدس في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية من قبل المؤرخ الفرنسي بيجوت **Beugnot** سنة١٨٧٦م . ينظر: باركر، الحروب الصليبية ، ص٢٠١ ؛ وأشار المؤرخ البريطاني سميث أن الباحث الفرنسي موريس جراند **Maurice Grand** هو أول باحث في أوربا قام بدراسة تلك القوانين واستخرج منها قوانين إشارات إلى أنه يمكن أن يكون تاريخها يعود إلى القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي ، وقد لقيت استنتاجاته تجاهلاً تاماً من قبل المختصين بالدراسات الصليبية آنذاك . ينظر:" الحركة الصليبية "،ج١، ص٢٠ ؛ وقد ضمت هذه القوانين وثيقة بعنوان أنساب الفرنج في الشرق الأدنى. **Le Livre des Lingnages de Outre-mer** التي نشرها المؤرخ الفرنسي**Rey** سنة١٨٧٧م . ينظر: باركر ، الحروب الصليبية ، ص٢٠١-٢٠٢ .

المقدس الصليبية وقبرص اللاتينية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين .

٣. المؤرخون الشرقيون (العرب المسلمون)**Historians Arabs** وتقع كتاباتهم في خمسة مجلدات: الأول : ضم منتخبات من تاريخ أبي الفداء وصورة مجملة عن الصليبيين للحقبة الممتدة(١٠٩٧-١١٨٩م) فضلاً عن منتخبات من كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير ، والثاني : شمل بقية منتخبات الكامل في التاريخ عن السنوات(١١٨٩-١٢٣١م)، ومنتخبات عن السنوات(١٢٢٧-١٢٧٥م)من كتاب عقد الجمان للمؤرخ العيني وكتاب التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير، والثالث: منتخبات من كتاب سيرة الناصر صلاح الدين الأيوبي للمؤرخ ابن شداد ، وكتاب مرآة الزمان في تاريخ الأعيان للمؤرخ سبط ابن الجوزي ، وكتاب زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم عن السنوات(١٠٩٦-١١٤٦م)،أما المجلدان الرابع والخامس : فضما كتابين لأبي شامة هما الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية والذيل على الروضتين .

٤. المؤرخون اليونان (الإغريق) **Historians Crecs** : وتقع كتاباتهم في مجلدين ، الأول : منتخبات من مؤلفين عديدين ، والثاني : تعليقات على المجلد الأول .

٥. الوثائق الأرمنية **Documents Armenians** : وتقع في مجلدين ، الأول : منتخبات من تاريخ متي الرهاوي وميخائيل السرياني ، أما المجلد الثاني : فضم منتخبات أخرى ، ويذكر أن للمجموعة تتمة أصغر حجماً بعنوان وثائق خاصة بتاريخ الحروب الصليبية[١] .

وهكذا ظهرت هذه المجموعة المذكورة بمساهمة كبيرة للمؤرخين الفرنسيين وغيرهم من الأوربيين الذين جمعوا فيها كل ما كتبه مؤرخو الحروب الصليبية المعاصرين لها من غربيين وشرقيين وأرمن وروم وضموها في مجموعتهم الشهيرة المذكورة آنفاً[٢] واستغرق العمل لإنجاز هذا المشروع التاريخي الكبير مدة جاوزت النصف قرن من الزمن بدءً من سنة(١٨٤١م) وانتهاءً في سنة(١٩٠٦م)، وقد أصبحت هذه المجموعة مصدراً مهماً

(١) العقيقي ، المستشرقون ،ج١، ص١٦٥-١٦٦ .

(٢) عبد المنعم ماجد ، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى(بيروت:١٩٦٦م)، ص٢٢١ .

ورئيساً لأي باحث يتناول دراسة تاريخ الحروب الصليبية ، كما أصبح بوسع الدارسين الأوربيين الوقوف على مادة تاريخية وفيرة حول عصر الحروب الصليبية والمنشورة باللغة الفرنسية ، ثم قام بعض المؤرخين فيما بعد بترجمتها إلى اللغة الانكليزية الأمر الذي ساعد الباحثين في تلك الحقبة على دراستها من وجهات نظر مختلفة فضلاً عن تمكنهم من مقارنة الروايات التاريخية الواردة في المصادر الأولية ومناقشتها والحكم عليها بسهولة تامة[١] .

وعلى الرغم من أهمية هذا العمل الذي اضطلعت به فرنسا التي قدم منها أكبر عدد من الصليبيين واهتمام علمائها في مجال الدراسات الصليبية وما نشروه من المصادر الأصلية الغربية واليونانية والشرقية والعربية في المجموعة الضخمة عن مؤرخي الحروب الصليبية[٢] إلا أن قيمة هذه المجموعة لسوء الحظ لا تتناسب مع ضخامتها وما بذل فيها من جهد فضلاً عن ما حفلت به من الفجوات والتي لم يحفل مصنفوها بالدقة اللازمة لاختيار المؤلفات والمخطوطات وفوق ذلك كله انعدام الطريقة السليمة عند اختيار المؤلفين للفقرات المتعلقة بالحروب الصليبية والاهمال المطلق في ترجمة النصوص وضآلة التعليقات في حواشيها[٣] وبهذا الصدد وجه المؤرخ كلود كاهن الذي يعد أحد أشهر المختصين الفرنسيين بالتاريخ الصليبي ـ الذي سنتحدث عنه لاحقاً ـ انتقادات لاذعة لها قائلاً((نجد أنفسنا حقاً ملزمين بالقول إن مصنف مؤرخي الحروب الصليبية رغم شهرته فنحن لسنا مرتاحين له كثيراً في هذا الشأن ، إذ كان بالإمكان تفادي كثير من الأخطاء ، وحتى طبعات هذا الكتاب جاءت متفاوتة القيمة))[٤] .

كما ظهرت مؤلفات متنوعة للمؤرخين الفرنسيين عن عصر الحروب الصليبية لعل أهمها ثلاثة كتب للمؤرخ شلومبرجيه ، الأول كان موضوعه : النقد في الشرق اللاتيني

(١) ماير، تاريخ الحروب ، ص٣ ؛ حماد " تطور الكتابة التاريخية "،ج١، ص٨٠ .

(٢) رنسيمان ، تاريخ الحروب ،ج١، ص١١ .

(٣) العريني ، مؤرخو الحروب ، ص٧ .

(٤) الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ترجمة : أحمد الشيخ(بيروت :١٩٩٥م)، ص٣١٥ .

بمجلدين والصادر في باريس ما بين سنتي(١٨٧٨-١٨٨٢م)[١]والثاني بعنوان: رينو دي شاتيون (أرناط) أمير أنطاكية، المطبوع سنة(١٨٨٨م)[٢] أما الثالث فهو: حملات الملك أموري الأول ملك القدس على مصر، الصادر في باريس سنة(١٩٠٦م)[٣] فضلاً عن الدراسة التي وضعها المؤرخ جي. دودو بعنوان تاريخ المؤسسات الملكية في مملكة بيت المقدس اللاتينية(١٠٩٩-١٢٩١م)[٤].

وعندما بلغ الاستعمار ذروته في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وأصبحت أغلب بلاد المسلمين تحت سيطرته بدأ الاتجاه السياسي والعسكري في دراسة الحروب الصليبية بعد أن أمسكت بزمامه الأيديولوجية الاستعمارية التي قادها المؤرخ الفرنسي أرنست رينان**Ernest Renan** المولود في مقاطعة بريتاني(١٨٢٣-١٨٧٩م) وسار على نهجه من جاء بعده[٥] وكان رينان قد وجه جل اهتمامه لدراسة الحروب الصليبية وساهم مع رفاقه في كتابة الأبحاث عنها ونشرها في جمعية الشرق اللاتيني **Societe de L Orient Latin** التي أسسها الفرنسيون في أواخر القرن المذكور[٦] وهكذا لم يتردد أنصار التوسع الاستعماري في بداية عصر الاستعمار في القرن المذكور على اعتبار الحرب الصليبية بمثابة المرحلة الأولى من الوجود الأوربي في الشرق[٧] .

وقد عد الفرنسيون الدويلات اللاتينية التي تأسست في الشرق وكأنها الفصل الأول في تاريخهم الاستعماري ويتضح ذلك في مؤلفات مؤرخيها أمثال ايمانويل ري **Rey Emmanuel**الذي ألف ثلاثة كتب مهمة في هذا المجال الأول: بعنوان الممتلكات

---

(١) فولفغانغ فينر مولر ، القلاع أيام الحروب الصليبية ، ترجمة : محمد وليد الجلاد ،ط٢(دمشق:١٩٨٤م)، ص٣٢٥ .

(2)**Renaud de Chatillon ,Prince d Antioche(Paris:1898)** .

(3) **Campagnes du roi Amaury ler de Jerusalem en Egypte(Paris:1906)** .

(4)**G. Dodu, Histoire des Latin de Jerusalem(1099-1291)(Paris:1894)** .

(٥) أنور الجندي ، الإسلام والثقافة العربية (القاهرة:١٩٨٦م)، ص١٣٣، ٢٢٦ .

(٦) رنسيمان ، تاريخ الحروب،ج١، ص١١ .

(٧) خضر، أوربا وفلسطين ، ص٥٨ .

الفرنسية في سورية خلال العصور الوسطى الصادر في باريس سنة(١٨٦٦م) والثاني: آثار العمارة العسكرية الصليبية في سورية وفي جزيرة قبرص المنشور في باريس سنة(١٨٧١م)[١]أما الكتاب الثالث: المستعمرات الفرنجية في سورية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر والمطبوع في باريس سنة(١٨٨٣م)[٢] فضلاً عن عدد من الأبحاث المنشورة في مجلة الشرق اللاتيني وأهمها أمراء جبلة المنشور بالعدد الثالث سنة(١٨٩٥م)[٣]وأمراء بيروت بالعدد الرابع سنة(١٨٩٦م)[٤] وأمراء الشوبك وأرض ما وراء الأردن بالعدد الرابع سنة(١٨٩٦م)[٥]على أن ري كان من أهم المؤرخين الفرنسيين في مجال الصليبيات في القرن التاسع عشر ولا زالت مؤلفاته المهمة تحتفظ بقيمتها العلمية حتى الوقت الحاضر[٦] .

ثالثاً : أعمال المؤرخين الفرنسيين في القرن العشرين

وتطور هذا الاتجاه السياسي الاستعماري في دراسة الحروب الصليبية وانتشر على نطاق أوسع على يد المؤرخ لويس مادلين **Lewis Madlein** صاحب مقالة سورية الفرنجية التي نشرت في مجلة ريفو دي دو موند (مجلة العالمين) بالعدد السادس سنة(١٩١٧م)[٧] كما طبع سلسلة من أولى محاضراته التي ألقاها تحت عنوان التوسع الفرنسي من سورية حتى الراين[٨] عد فيها الدويلات الصليبية الفصل الأول من تاريخ المشاريع الاستعمارية الفرنسية لاسيما أن هذا المؤرخ آمن عن تعصب بقدرة الفرنسيين على حكم الشعوب الأخرى لمصلحتها ، فقبيل نشوب الحرب العالمية الأولى

---

(١) مولر ، القلاع ، ص٣٢٥ .

(2)Les Colonies franques de Syrie au XIIeme et XIIeme Siècles(Paris:1883)

(3)"Les Seigneurs de Giblet" ,in ,R.O. Latin, III,p398-422 .

(4)"Les Seigneurs de Baurut " in ,R.O. Latin, IV,p12-18 .

(5)"Les Seigneurs de Montereal et de La Terre d Outre La Jordan", in ,R.O. Latin, IV,p19-24 .

(٦) عوض ، فصول ببليوغرافية ، ص١٢٩ .

(7)La Syrie Franque, Revue de deux mondes (Paris:1917) .

(8)L Expansion Francaise de la Syrie au Rhin(Paris:1918),pp314-358 .

سنة(١٩١٤م) كان يناضل من فوق منصة الخطابة ضد العقلية الانهزامية **mentalite de vaincu** التي كانت متفشية بين مواطنيه ورغب في فتح عيونهم إلى وجهة نظره المتحمسة حول عظمة بلادهم ووجد في حالة السلم التي أعقبت انتصارات الحرب العالمية الأولى سانحة لفرنسا لكي تعود إلى المقاطعات والمستعمرات التي كانت تابعة لها ذات مرة وراح يركز مرة أخرى على تأثير الرأي العام على هذه النهاية[١] وهذا يعني استمرار البحث التاريخي في الدراسات الصليبية في فرنسا بشكل خاص لتسليط الضوء على أصول الحركة الصليبية وجذورها ومدى تأثيرها في المجتمعين الغربي والشرقي آنذاك وكان أبرز من مثل هذا الاتجاه المذكور لويس مادلين الذي لم يكتف بعد الدويلات اللاتينية أنها أول المستعمرات الفرنسية في الشرق بل حاول أن يثبت قدرة الفرنسيين على الحكم والاستعمار من خلال سلسلة من المحاضرات عن الدور التوسعي لفرنسا ابان حقبة الحروب الصليبية والتي شرح فيها الفكرة القائلة بأن الدويلات الصليبية كانت السباقة لتحقيق هذا الهدف[٢] .

وشهد القرن العشرين ظهور عدداً من أشهر مؤرخي فرنسا آنذاك وهم فرديناند شالاندون **Ferdinand Chalandon** الذي أنجز كتاب بعنوان: تاريخ الحملة الصليبية الأولى حتى انتخاب جودفري البويوني نشر في باريس سنة(١٩٢٥م) ركز فيه على التاريخ العسكري للصليبيين حتى وصولهم بلاد الشام خلال تلك الحملة المذكورة[٣] ويلاحظ أن هذا الكتاب هو الترجمة الفرنسية لما ألفه المؤرخ اللاتيني المجهول المعاصر للحملة الصليبية الأولى[٤] أما المؤرخ لويس بريهيه(١٨٦٨-١٩٥١م)الذي كان أستاذاً في

---

(١) ر. سي. سميل، فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر١٠٩٧-١١٩٣، ترجمة : محمد وليد الجلاد (دمشق:١٩٨٥م)، ص٨٠-٨١ .

(2)Imperialistic Elements of the Crusades ," in Speculum : 1981,Vol.1,P.487 .

(3)Histoire de la Premiere Croisade Jusque a L election de Godefroi dex Bouillon (Paris:1925) .

(٤) عوض ، فصول ببليوغرافية ، ص٨٩ .

جامعة السوربون وعضواً في مجمع العلوم الأخلاقية في باريس، فكان له انجازات علمية في مجال الصليبيات لعل أبرزها كتاب بعنوان: الكنيسة والشرق في العصور الوسطى ـ الحروب الصليبية ـ الصادر بطبعته الخامسة في باريس سنة(١٩٢٨م)[١] وله دراسة بعنوان : بعثة بيزنطة في معسكر القديس لويس أمام تونس نشرت في مجلة منوعات يورجا سنة(١٩٣٣م)[٢] .

كما صنف المؤرخ انلارت **C. Enlart** الذي أوفدته الحكومة الفرنسية في بعثة إلى الشرق الأدنى في الربع الأول من القرن العشرين كتاباً بعنوان مباني الصليبيين في مملكة القدس[٣]الذي صدرت طبعته الأولى في باريس بمجلدين ما بين سنتي(١٩٢٦-١٩٢٧م)[٤] وطبعته الثانية في باريس بثلاثة أجزاء في سنتي(١٩٣٤و١٩٣٧م)[٥] .

وكذلك اهتم المؤرخ بول ديشامب **Pull Deschamps** (١٨٨٨-١٩٤٢م) بالبحث في مجال الحروب الصليبية ، وكان أميناً لمتحف الآثار الوطنية بباريس وعضو مجمع الكتابات والآداب وأهم كتاباته: دراسة عن قلعة الحصن[٦] نشرت باللغة الفرنسية في

---

(1)**Louis Brehier ,L Eglise et l Orient au Moyen ages : les Croisades,5th ed(Paris:1928)** .

(٢) مراد ، معجم أسماء ، ص٥٢-٥٣ .

(3)**Histoire de la Premiere Croisade(Paris:1925)** .

(٤) وهناك من سماه الصروح الصليبية في مملكة بيت المقدس **Les Monuments des Croises dans Le Royaume de Jerusalem(Paris:1926-1927)**.ينظر : سميل ، فن الحرب ، ص٣٨٨ ؛ أو الصروح التذكارية للصليبيين في مملكة القدس **Les Chateaux des Cruises en Terre saint**. ينظر : مولر ، القلاع ، ص٣٢٤ .

(٥) كاهن ، الشرق والغرب ، ص٣١٢ .

(٦) الحصن المقصود أعلاه هو حص الأكراد الواقع في إمارة طرابلس الصليبية شرق طرطوس بين مديني حمص وصافيتا بناه الصليبيون سنة٥٣٧هـ/١١٤٢م وبقي بيد الفرسان الاسبتارية مدة طويلة من الزمن وعجز الأيوبيون عن ارجاعه حتى نجح السلطان المملوكي الظاهر بيبرس من تحريره سنة٦٧٠هـ/١٢٧١م . ينظر: مولر ، القلاع ، ص٧٦-٧٧ . وقد كتب الباحث الزيدي دراسة عنه بعنوان" حصن الأكراد ودوره في الصراع الصليبي ــ الإسلامي " منشور في مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية(جامعة الموصل:٢٠٠٨م)،م٧،ع٤، ص٤٢١-٢٦٥ .

المنشور في مجلة الفنون الجميلة بالمجلد الأول سنة(١٩٢٩م)[١] وقصر صهيون في امارة انطاكية في المنشور في مجلة الفنون الجميلة عدد كانون الأول سنة(١٩٣٠م)[٢] فضلاً عن بحثه مداخل قلاع الصليبيين في سورية والدفاع عنها المنشور في مجلة سورية سنة(١٩٣٢م)[٣] ناهيك عن كتابه الأهم في مجال الحروب الصليبية بعنوان قلاع الصليبيين في الأراضي المقدسة المطبوع بمجلدين في باريس سنة(١٩٣٧م)[٤] كما وضع المؤرخ ج لونيون كتاب بعنوان الفرنسيون في ما وراء البحار في القرون الوسطى الصادر في باريس سنة(١٩٢٩م)[٥] .

ويعد المؤرخ الفرنسي رنيه كروسيه **Rene Grousset**(١٨٨٥-١٩٥٢م) من أشهر المختصين الفرنسيين في مجال الحروب الصليبية في القرن العشرين ، كان قد عمل أستاذاً في مدرسة اللوفر سنة(١٩٢٨م) واختير أميناً عاماً لمتحف تشيرنوسكي **Cernuschi** في باريس سنة(١٩٣٣م) ومدرساً لتاريخ الحضارات في المدرسة الوطنية للغات الشرقية في سنة(١٩٤١م)، ثم أضحى أميناً عاماً لمتحف كيميه في سنة(١٩٤٤م) وانتخب عضواً في الأكاديمية الفرنسية في سنة(١٩٤٦م)، وترك كروسيه انطباعاً طيباً كإداري ممتاز، وعلى الرغم من أنه لم يغادر وطنه الأم فرنسا وعدم اجادته لأي من اللغات الشرقية إلا أن اسمه ظل مرتبطاً بأعماله العلمية في حقل العلوم

---

(1)Le Crac des Chevaliers in Cazette des beaux-arts,Art:1(Paris:1929).

(2)Le Chateau de Saone dans Le Principaute d Antioche in Cazette des beaux-Arts,(Paris :Decamber 1930),pp.64-329.

(3)Les entrees des Chateaux des Croises en Syria et leurs defenses.in Syria(Syira:1932),pp.87-369 .

(٤) يذكر أن الكتاب اعلاه الذي نشره ديشامب تألف من مجلدين ، الأول : ضم دراسة لقلعة الحصن (حصن الأكراد) أما المجلد الثاني : تناول فيه سياسة الدفاع عن مملكة بيت المقدس الصليبية . ينظر:

Les Chateaux des Croises en Terre Saint .I. Le Crac des Chevalirs (Paris:1929),Tom.I .

La Defense du Royaume de Jerusalem(Paris:1939),Tom.II.

(٥) مولر ، القلاع ، ص٣٢٥ .

الإنسانية هذه الأعمال التي أسفرت في فرنسا بشكل عن فهم الشرق وتقديره وليس ذلك فحسب بل تمكن من الإحاطة بخفايا الشرق وشؤونه وترك لنا عدداً غير قليل من المؤلفات التاريخية في حقل الصليبيات والدراسات المختصة بفلسفة الحضارات الشرقية للحقبة الممتدة ما بين سنتي(١٩٢٢-١٩٤٨)[١] .

وكانت وجهة نظر كروسيه عن الحروب الصليبية على أنها فصلاً من فصول تاريخ المسألة الشرقية الأزلية وذلك من خلال الشعور بالصراع الكبير بين أوربا وآسيا الذي بدأ منذ عهد الاسكندر الكبير الذي وسع حدود أوربا على حساب الامبراطورية الفارسية آنذاك ، ويرى بأن الحركة الصليبية قد بدأت قبل أن يستعيد هرقل الصليب ويرجعه إلى كنيسة القيامة في سنة(٦٣٠م)[٢] كما رأى كروسيه أن الروح الاستعمارية **L esprit colonial** كانت العنصر الرئيس في سورية اللاتينية إلا أن السياسة التي اعتمدت لم تكن تتفق معها وانما اتفقت مع عنصر آخر مضاد له تمثل بالنزعة الصليبية **L esprit croise** التي كانت السبب المباشر في خيبة الفرنجة وفشلهم في تحقيق أهدافهم المنشودة التي خططوا لها [٣] .

وأهم أعماله في مجال الصليبيات كتاب ضخم بعنوان تاريخ الحروب الصليبية ومملكة القدس الفرنجية الذي صدرت طبعته الأولى في باريس في السنوات الواقعة بين(١٩٣٤-١٩٣٦م) وبثلاثة أجزاء تتجاوز(٢٥٠٠) صفحة مزودة بملاحق من خرائط وصور وأشكال ومعتمداً في تأليفه وتوثيقه على المصادر الأجنبية والعربية المعاصرة لتلك الحروب[٤] ويعد زبدة ما انجزته المدرسة الفرنسية حول الحروب الصليبية وخلاصتها المفيدة كما قدم

---

(١) رنيه كروسيه ، الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب ، ترجمة : أحمد إيبش(دمشق:٢٠٠٢م)،ص١٥.

(2)Hussein, " The Imperialistic Elements",Vol.1,P.487-488 .

(٣) سميل، فن الحرب ، ص٨٣ ؛

, Histoire des Croisades ,Tom.I,p.314

Grousset

(4)Histoire des Croisades et du Royaume de Jersalem (paris:1934-1936),Tom. I,II,III .

صورة وافية عن نظرة الفرنسيين عن تاريخ تلك الحروب التي كانت أغلب حملاتها فرنسية الطابع[١].

وقدم كروسيه في هذا الكتاب تاريخاً شاملاً للحملات الصليبية روى فيه لأول مرة وجهة النظر الإسلامية فيما يتعلق بالغزو الصليبي للعالم الإسلامي فضلاً عن تناوله الغزو المغولي للمشرق الإسلامي وأثره على الأوضاع في بلاد الشام وعلى الرغم من إنه لم يتناول الجوانب الحضارية في التاريخ الصليبي كالكتابة عن الآداب والفنون ، كما أبدى اهتماماً قليلاً في التاريخ السياسي الإقطاعي للإمارات الصليبية إلا أنه ناقش بالتفصيل رد فعل المسلمين تجاه الحملات الصليبية وهو موضوع لم يسبق أن تناوله مؤرخ غربي قبله ، على أن اهتمامه في الكتابة عن رد الفعل الإسلامي لا يعني أنه كان موضوعياً فيما يتعلق بالدين الإسلامي أو الثقافة والحضارة الإسلامية بل أن التعصب الغربي تجاه هذا الموضوع كان واضحاً في كتاباته[٢] .

وقد سجل أحد الباحثين المحدثين المختصين بالتاريخ الصليبي بعض الملاحظات على كتابات كروسيه وقال أنه لدى دراسته عصر الحروب الصليبية عمل على ابراز دور الفرد في صنع تاريخ تلك المرحلة بصورة ملفتة للنظر ومثيرة للانتباه كما سلط الضوء بشكل مستمر على القيادات وإظهار الأمر على أنه مجرد صراعات سياسية بين قيادات إسلامية من جهة وقيادات صليبية من جهة أخرى ، والواقع أن خطورة مثل ذلك التوجه أنه أغفل البعد الشعبي لحركة الجهاد الإسلامي وتجاهل أهمية دور الفرد في توجيه حركة التاريخ ، كما أن تغييب الدور الشعبي يفقد حركة الجهاد الإسلامي أبعادها الحقيقة وتصوير الشعوب الإسلامية آنذاك على أنها كانت تتخذ موقف المتفرج أمر غير صحيح لأن الواقع التاريخي عكس ذلك تماماً[٣] كما أن كروسيه وصف الحرب الصليبية السادسة التي

(١) كروسيه ، الحروب الصليبية ، ص١٥ .
(٢) حماد " تطور الكتابة التاريخية "،ج١، ص٨٤ .
(٣) عوض ، الحروب الصليبية ، ص١٦٢ .

قادها الامبراطور فردريك الثاني**Friedrich II** (٥٩٤-٦٤٨هـ/١١٩٧-١٢٥٠م) بأنها نوع من المنافسة الفرنسية ـ الألمانية على مناطق النفوذ في الشرق[١] .

ولا زال كتاب تاريخ الحروب الصليبية للمؤرخ الكبير كروسيه أفضل وأوسع ما كتب عنها في فرنسا حتى الوقت الحاضر، وكان المؤرخ البريطاني الشهير ستيفن رنسيمان قد امتدحه قائلاً :((وقبيل نشوب الحرب العالمية الثانية سنة(١٩٣٩م) أصدر جروسيه مؤلفه عن تاريخ الحروب الصليبية في ثلاثة أجزاء ، ووفقاً للتقليد الفرنسي جمع كروسيه بين غزارة العلم وسلامة الكتابة وبين وطنية الغاليين (الفرنسيين)المعروفة))[٢] .

وعلى الرغم من ذلك فقد وجهت انتقادات لاذعة فيستغرب كلود كاهن مثلاً للشهرة التي اكتسبها الكتاب بقوله أنه لا يستطيع وحده تأليف هذا الكتاب لاسيما أنه لا يعرف أية لغة من اللغات التي لا بد منها في هذا الشأن وإن الانتشار الكبير الذي لا قاه هذا الكتاب بفرنسا وخارجها يدعوا إلى نوع خاص من الحسرة رغم ما يجده القارئ من متعة في بعض جوانبه[٣] على أن كتابه الموسع هذا اختصره في كتاب حمل عنوان مختصر الحروب الصليبية **Les Croisades** الصادر في باريس ضمن السلسلة الثقافية المعروفة باسم (**Que sais–je** العدد١٥٧/سنة١٩٣٧م)[٤]هذا فضلاً عن كتابه الآخر حول البابوية والحروب الصليبية الصادر في باريس في سنة(١٩٣٨م)[٥] كما نشرت له دراسة أخرى بعنوان امبراطورية الشرق : تاريخ المسألة الشرقية ـ في سنة(١٩٣٩م)[٦] .

ولم تقتصر أعمال المؤرخ كروسيه على الكتب التي تعنى بدراسة الحروب الصليبية بل شملت بحوث عدة في هذا المجال منها: قصور الصليبيين في الأرض المقدسة المنشور بالفرنسية سنة(١٩٣٦م)، وحول فقرة غير معروفة في تاريخ وليم الصوري المنشور في

---

(١) خضر، أوربا، ص٥٨ .

(٢) تاريخ الحروب ،ج١، ص١١ .

(٣) ينظر : كاهن ، الشرق والغرب ، ص٣٢٣، هامش رقم (٣) .

(٤) ينظر: مقدمة هذا الكتاب المشار اليه آنفاً في هامش رقم(٨٥) .

(5) **L Epopee dse Croisades(paris:1938).**

(6) **L Empire du Levant (paris:1939)** .

مجلة المنوعات السورية سنة(١٩٣٩م) والقديس لويس والأحلاف الشرقية المنشور في مجلة الدراسات التاريخية بالعدد سنة(١٩٤٨م)[١] .

وبهذا الصدد يذكر المؤرخ البريطاني سميل أن موضوع الحروب الصليبية قد بقي لقرون حكراً على الفرنسيين والألمان دون غيرهم من الدول الأوربية ، فهم أول من نشر النصوص الأولية عنها وكتبوا الدراسات الدقيقة حولها ووضعوا الدراسات العامة عنها[٢] كما يقول المستشرق البريطاني الأصل والأمريكي الجنسية برنارد لويس : إن تجربة الوجود الفرنسي على أرض سوريا قد أنتجت كتابا ضخماً عن الحروب الصليبية هو كتاب المستشرق الشهير رنيه كروسيه الذي نشر عام١٩٣٦م في حين أن الانتداب البريطاني على أرض فلسطين لم يلفت أنظار الباحثين الانكليز ليقدموا كتابا مماثلاً[٣] ويؤيد الكاتب الأمريكي هارولد لامب فيما ذهب إليه برنارد لويس وأكد تخلف البريطانيين والأميركيين عن إنتاج أعمال عن الحروب الصليبية تضارع ما أنجزه المؤرخون الفرنسيين أمثال ميشو ورينت وكروسيه[٤] .

ولم تقتصر أعمال المؤرخين الفرنسيين على الجوانب الدينية والسياسية والعسكرية والاقتصادية بل شملت جوانب أخرى فقد شهدت فرنسا في العصر الحديث ظهور جيل جديد من المؤرخين ركزت مؤلفاتهم على مواضيع جديدة الطرح ولم يسبقهم إليها أحد من الباحثين وأكثر عمقاً في الدراسات الصليبية المتمثلة في أعمال المؤرخين الفرنسيين أمثال موريس جراند كلود الذي درس القوانين والتشريعات التي اعتمدها المستوطنين الأوربيين

(١) العقيقي، المستشرقون ،ج١، ص٢٧١ ؛ يحيى مراد ، معجم أسماء المستشرقين (بيروت:٢٠٠٤م)،ص٢٦٥.

(2)R.C. Smail ,"Review of Steven Runciman , A History of the Crusade ,Vol. I " EHR, Vol.68, No.266 (Jan:1953),p.85 .

(3)Bernard Lewis ,"Review of Steven Runciman,A History of the Crusade , Vol. I "(BSOAS:1953),Vol.15, p 397-398.

(4)Harold Lamb, "Review of Steven Runciman ,A History of the Crusade, Vol. I "(Middle Eastern Journal, Autumn:1951),Vol.5,p.513.

في بلاد الشرق[١] وأبرز آثاره العلمية كتاب بعنوان على طريق الحروب الصليبية الذي نشرته دار أرليا في باريس سنة(١٩٣٩م)[٢] كما نشرت دراسة أخرى سنة(١٩٤٢م)،عن الوضع القانوني للصليبيين والامتيازات التي حصلوا عليها مقابل مشاركتهم في الحملات الصليبية[٣] فضلاً عن الاهتمام بالجانبين الاجتماعي والنفسي للحملات الصليبية وأشهر من كتب في هذا الاتجاه المؤرخ الفرنسي بول آلفودري **Paul Alphaudery** الذي قدم دراسة بعنوان النصرانية وفكرة الحروب الصليبية **La Cbretiente et L idee de Croisade** غير أنها لم تكتمل بسبب وفاته سنة(١٩٥٢م) فانجزها بعده زميله لويس ديبرونت **Louis Dupront** ونشرها في باريس في جزئين سنتي(١٩٥٤م و١٩٥٩م)[٤].

وظهر في الحقبة الممتدة من منتصف القرن العشرين واستمر حتى بداية التسعينيات المؤرخ الفرنسي اليهودي كلود كاهن**Claude Cahen**(١٩٠٩-١٩٩١م)الذي يعد من أبرز المختصين الغربيين في مجال التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الإسلامي في عصر الحروب الصليبية ، وكان قد تخرج من كلية اللغات الشرقية من جامعة السوربون وعين محاضراً في مدرسة اللغات الشرقية في باريس سنة(١٩٣٨م) وأستاذاً للتاريخ الإسلامي في كلية الآداب بجامعة ستراسبورغ سنة(١٩٤٥م) وبعدها انتقل للعمل في جامعة باريس التي بقي فيها حتى بداية عقد التسعينيات من القرن الماضي[٥] ويذكر إنه أثناء عمله هناك قدم خبرته العلمية للجامعة العبرية في الكيان الصهيوني التي كان لديها فرق عمل كاملة تتخصص في مجال الدراسات الصليبية وتستعين بالعلماء المتصهينين وقد ساعدهم في تحقيق هدفهم وجود مراكز بحث ومستشارون لهم في جامعة باريس وأبرزهم المؤرخ اليهودي كاهن آنذاك[٦] .

---

(١) سميث " الحركة الصليبية "،ج١، ص١٩-٢٠ .

(٢) كاهن ، الشرق والغرب ، ص٥ .

(٣) حماد " تطور الكتابة التاريخية "،ج١، ص٨٨ .

(٤) كاهن ، الشرق والغرب ، ص٣١٤ .

(٥) مراد ، معجم أسماء ، ص٥٦٢ .

(٦) شاكر مصطفى، في التاريخ الشامي (دمشق:١٩٩٨م)،ج١، ص١٤٣ .

وآثاره العلمية كثيرة جداً تنوعت ما بين الكتب والدراسات فضلاً عن الأبحاث والمقالات التي نشرت في دائرة المعارف الإسلامية[١] وأهمها فيما يتعلق بموضوع الدراسة بحوث عدة عناوينها: البلديون والصليبيون في سورية **Indigenes et Croises in Syria** المنشور في مجلة سوريا بالعدد١٥سنة(١٩٣٤م)، وتاريخ عهد الصليبية المنشور في مجلة مجمع الكتابات والآداب سنة(١٩٣٥م) ، والفرنجة في سورية المنشور المجلة الآسيوية بالعدد٢٢٩سنة(١٩٣٧م) هذا فضلاً عن أطروحته بعنوان سوريا الشمالية في عصر الحروب الصليبية والإمارة الفرنجية بانطاكية **La Syrie du Nord a L epoque dss Croisades** التي حصل بموجبها على شهادة الدكتوراه من جامعة باريس سنة(١٩٤٠م)[٢] والتي كانت ولا زالت ذات قيمة علمية بارزة في موضوعها ، ولم يتمكن أي باحث من بعده من الإجادة بدراسة موضوعية في تلك المنطقة نفسها عربياً كان أم أوربياً[٣] وعلى الرغم من ذلك إلا أن كاهن نفسه يوجه انتقاداته لأطروحته وقال عنها :((أنا أول من يعلم أن أطروحتي التي كتبتها عام(١٩٤٠م)عن سوريا الشمالية زمن الحروب الصليبية لا ينبغي أن يعاد طباعتها كما هي الآن وانتهيت إلى منع إعادة طباعتها رغم الدعوات الكريمة التي وجهت لي في هذا الشأن ، ولست أنكر ما أسدته من خدمات وقت صدورها غير أنها تتضمن ثغرات ونقائض فكرية يمكن لقارئ هذا الكتاب لو قدر له الاطلاع عليه أن ينتبه إليها بيسر))[٤] .

ونظراً للقيمة العلمية التي تحتفظ بها تلك الاطروحة بعد مضي ثمان وسبعون عاماً على صدورها تقوم بترجمتها الى العربية المترجمة الواعدة سماح فؤاد عبد الرزاق تحت اشراف المؤرخ المصري محمد مؤنس عوض[٥] .

---

(١) " كلود كاهن" ، مقال منشور على شبكة الانترنت في ويكيبديا ، الموسوعة الحرة على الموقع WWW.Wikipedia.org.com

(٢) العقيقي، المستشرقون ،ج١، ص٣٢٣-٣٢٤ ؛ مراد ، معجم أسماء ، ص٥٦٠ .

(٣) عوض ، " ستيفن رنسيمان " ، ص٢٩٢ ، هامش(١١) .

(٤) الشرق والغرب ، ص٣٢٣ .

(٥) عوض ، صلاح الدين الأيوبي نسر الشرق الرحيم١١٣٨-١١٩٣م(الجيزة:٢٠١٤م)، ص٦٦ .

ناهيك عن مجموعة كبيرة من البحوث المتنوعة في مجال الصليبيات وهي كالآتي : مدخل الى الحملة الصليبية الأولى المنشور في مجلة الماضي والحاضر باريس سنة(١٩٥٤م)[١] والإسلام والحرب الصليبية ضمن أعمال المؤتمر الدولي العاشر لعلم التاريخ روما سنة(١٩٥٥م)[٢]والاقطاع والمؤسسات السياسية للشرق اللاتيني المنشور في مجلة شرق وغرب في العصر الوسيط روما سنة(١٩٥٧م)[٣]والقرن الأول من الحرب الصليبية المنشور في مجلة العصر الوسيط بالعدد ٦٢سنة(١٩٥٧م)[٤] وسلاجقة وتركمان وألمان في زمن الحملة الصليبية الثالثة المنشور في المجلة النمساوية للدراسات الشرقية بالعدد٥٦سنة(١٩٦٠م)، وفصل في تاريخ الاقتصاد الإسلامي المسيحي أيام الصليبيين المنشور في مجلة تاريخ الاجتماع والاقتصاد في الشرق بالعدد٤١سنة(١٩٦٣م)والقديس لويس والإسلام المنشور في المجلة الآسيوية بالعدد٢٥٨سنة(١٩٧٠م)، ولاتينيي أنطاكية أيام الصليبيين المنشور في مجلة الدراسات البيزنطية وكتابة فهمت خطأ عن التقرب بين الموارنة والصليبيين المنشور في مجلة الشرق الأوسط في العصر الوسيط سنة(١٩٧٢م)، فضلاً عن مقال حول الحروب الصليبية نشر في موسوعة الإسلام الصادرة في باريس سنة(١٩٨١م)[٥] .

ولعل أبرز أعماله في الصليبيات كتاب بعنوان الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية الذي تميز بالرصانة العلمية والدقة في استخدام الألفاظ والتعابير فضلاً عن أسلوبه السهل في تناول الأحداث وضم سبعة عشر فصلاً وإحدى وعشرين وثيقة تاريخية الذي صدر في فرنسا وباللغة الفرنسية وبطبعتين الأولى عن دار النشر الفرنسية أوبيه سنة(١٩٨٣م)والثانية عن دار فلاماريون سنة(١٩٩٢م) على أن الطبعة الأولى احتوت

---

(1) " **An Introduction to the First Crusade"(paris:1954),pp.6-29** .

(2) **"L Islam et La Croisade" (Rome:1955),pp.625-635** .

(3) " **La Feodalite et les institutions Politiques de L Orient Latin" in Oriente ed Occidentenel medio Evo(Rome:1957),pp.167-191** .

(4) **"Le Premier cycle de La Croisade, in M.A,(paris:1957),Lvll,pp.312-328** .

(٥) مراد ، معجم أسماء ، ص٥٦٢ .

على الكثير من الأخطاء المطبعية والتي لم يتم تلافيها في الطبعة الثانية فضلاً عن الأخطاء الموضوعية الواردة في الملاحق ويرجع ذلك إلى عدم شعور القائمين على دور النشر بالمسؤولية تجاه الأعمال الجادة والتي يستغرق اعدادها سنوت طوال ، وقد قام بترجمة الكتاب أحمد الشيخ إلى العربية سنة(١٩٩٥م)، والواقع أن هذا الكتاب أرخ لحقبة تاريخية من العلاقات بين الشرق والغرب في شتى المجالات السياسية والعسكرية والتجارية والثقافية فضلاً عن المقارنة الدائمة بينهما والسائدة عبر صفحات الكتاب وأهم هذه المقارنات التي أجراها كانت بين القدرات العسكرية وإجراءات المعارك لدى الجانبين الصليبي والإسلامي ، كما يلاحظ أن المؤلف قد انشغل كثيراً في هذا الكتاب بدراسة الدويلات التي أقامها الصليبيون في الشرق اللاتيني وهو في ذلك يكمل ما بداء في أطروحته المذكورة آنفاً والتي استعاد كثيراً منها في كتابه هذا مع دراسة الدويلات الصليبية الأخرى وهي إمارة طرابلس وعكا ومملكة بيت المقدس والتي لم يتناولها في أطروحته[١] وقد خصه أحد الباحثين المحدثين بالقول: ((ندين لكلود كاهن بدراسة عظيمة عن الشرق والغرب أيام الحروب الصليبية أتاحت لنا وضع الإطار العام الذي ستتدرج فيه حقبة الصليبيين كلها))[٢] .

وقد تميز المؤرخ كاهن بامتلاكه أسلوباً رائعاً بالغ الدقة والتكثيف والصعوبة ولا يكاد يمر سطر أو جملة إلا وهي محملة بأكثر قدر ممكن من المعاني ، فهو من المؤرخين المتشددين في مراعاة الشروط العلمية لكتابة التاريخ ومن الباحثين المدققين ينتقد ويمقت السهولة والخفة في كتابات كثير من الباحثين الغربيين لاسيما الذين جمعوا بين البحث العلمي الأكاديمي والعمل السياسي والإعلامي[٣] كما أن كاهن تفوق على غيره من المؤرخين الفرنسيين والبريطانيين في ادراكه لأهمية المصادر العربية لتاريخ الحروب

(١) كاهن ، الشرق والغرب ، ص٨-١٠ .
(٢) خضر، أوربا وفلسطين ، ص٣٥ .
(٣) الشرق والغرب ، ص١٢-١٣،٣٨٣ .

الصليبية وهو أمر انعكس على تحقيقاته لنصوص رئيسة منها وكذلك افادته وتحليله لذلك العصر اعتماداً عليها مع عدم اغفال المصادر الأوربية بطبيعة الحال[١] .

وقد حصل كاهن على شهرة كبيرة بين الأكاديميين الأوربيين حتى أن معظم أعماله ترجمت إلى العديد من لغات العالم ، واستمر في عمله أستاذاً في جامعة باريس ، وفي نهاية الحرب العالمية الثانية ترأس النشرة الاقتصادية والاجتماعية لتاريخ الشرق منذ سنة(١٩٥٧م) حتى وفاته في سنة(١٩٩١م)[٢] ويلاحظ أنه مات كفيفاً من كثرة مطالعته المخطوطات العربية وغزارة الدراسات والأبحاث التاريخية المتميزة التي انتجها طوال عقود من الزمن[٣] .

وعاصر كلود كاهن المؤرخ الفرنسي جان ريشار **Jean Richard** المتخصص بالصليبيات في جامعة ديجون الفرنسية في منتصف القرن العشرين وهو مؤلف كتاب كونتية طرابلس في عهد الأسرة الطولوشية(١١٠٢-١١٨٧م)الصادر بطبعتين الأولى في باريس سنة(١٩٤٥م) والثانية في نيويورك سنة(١٩٨٠م)[٤]وكذلك له كتاب تكوين مملكة القدس اللاتينية وبنيتها **Le Royaum latin de Jerusalem** الصادر في باريس سنة(١٩٤٧م)[٥] .

وكان من المؤرخين الفرنسيين المختصين بالتاريخ الصليبي ودرس أول مملكة صليبية غربية في فلسطين وسط العالم الإسلامي آنذاك فضلاً عن دراسته نظام المؤسسات

---

(١) عوض ، " ستيفن رنسيمان " ، ص٢٨٩-٢٩٠ .

(٢) كاهن ، الشرق والغرب ، ص٨-٣٨٣،١٠ .

(٣) عوض ، " ستيفن رنسيمان " ، ص٢٩٢ ، هامش(١١) .

(4)Le Comte de Tripoli sous la dynastic Toulousaine(1102-1187)(paris :1945and New York :1980).

(٥) كما اعيد نشره بصيغة بحث ضمن كتاب تاريخ الحروب الصليبية المعروف عموماً باسم تاريخ وسيكنسون الذي ظهر في منتصف خمسينيات القرن العشرين وحرره المؤرخ الأمريكي كينيث سيتون في جزئه الثاني **Jean Richard ,The Latin Kingdom of de Jerusalem, trans :Janet Shirley(Amsterdam :North Holland:1979)Vol.2**

ثم قام **Mise a jour** بترجمة هذا الكتاب من اللغة الفرنسية إلى الانكليزية في سنة١٩٨٠م . ينظر: كاهن ، الشرق والغرب ، ص٣١٤ .

المختلفة التي اقامها الصليبيون في الشرق اللاتيني اعتماداً على المادة المستمدة من المصادر المتوافرة مثل المراسيم الملكية وقوانين مملكة بيت المقدس الصليبية التي أشرنا إليها في صفحات سابقة من البحث ، كما ناقش ريشار وضع المؤسسة الدينية والتنظيم الكنسي في المملكة الصليبية وتشكيلات جيشها وقلاعها وحصونها العسكرية، وعلى الرغم من اعتماد الباحثين على الاكتشافات الأثرية والمصادر الكتابية الأجنبية المتنوعة[١]إلا أن الأعمال التي قدمها هؤلاء المؤرخين الفرنسيين وتناولهم الدستوري لتاريخ بيت المقدس ظلت تهيمن على الاتجاه العام في الكتابة عن الحروب الصليبية لمدة عشرين سنة من تاريخ ظهور مؤلفاتهم[٢]هذا فضلاً عن كتبه الاخرى أمثال تاريخ الحروب الصليبية الصادر في باريس سنة(١٩٦٩م)[٣] والعلاقات بين الشرق والغرب في العصر الوسيط المطبوع في لندن سنة(١٩٧٧م)[٤] .

وسار على نهجهم المؤرخ الفرنسي ايمانويل سيفان **Emmanuel Sivan** الذي عد الحروب الصليبية أسطورة تستخدم كتعويض من حاضر محبط نفسياً ، وأشار إلى أن هذه الحروب كانت منافسة بين دولتين هما بريطانيا وفرنسا من أجل السيطرة على الشرق فالجنرال البريطاني اللنبي **Allenby** عندما دخل القدس من بوابة مدينة يافا أعلن أمام الوجهاء المحليين أنه جاء لإعادة المجد القديم والانجازات التي حققها الملك الانكليزي ريتشارد الأول قلب الأسد في حين أن الجنرال الفرنسي غورو **Gouraud** عقب استيلاءه على دمشق في سنة(١٩٢٠م) زار قبر صلاح الدين الأيوبي وصرح قائلاً:((لقد عدنا إلى الشرق أيها السيد السلطان))[٥] ولذلك ذهب أحد الباحثين إلى القول أنه ما أن تذكر

---

(١) " تكوين مملكة القدس اللاتينية وبنيتها " ، ضمن كتاب الصراع الإسلامي الفرنجي على فلسطين في القرون الوسطى ، تحرير: هادية شكيل دجاني (بيروت :١٩٩٤م)، ص١٥٧-١٦٣ .

(٢)سميث " الحركة الصليبية " ،ج١، ص٢٠ .

(3)Histoire des Croisades(paris:1969) .

(4)Les Relations enter L Orient et L Occid au moyen age(London:1977) .

(٥) خضر، أوربا وفلسطين ، ص٥٨ ؛

الحروب الصليبية والناصر صلاح الدين الأيوبي وانتصاره على جيوش الغرب الأوربي في معركة حطين حتى يراود العرب المسلمين من جديد الحلم بصلاح الدين جديد يعيد التوازن بين الشرق والغرب ويرمم ثقة العرب بأنفسهم ، وهكذا تصبح ملحمة الحروب الصليبية كأسطورة سياسية فيها الدروس والعبر للأزمنة الحاضرة وسيستخدم الصحافيون والمؤرخون والمناضلون القوميون أو المسلمون هذا الحدث الماضي للتشديد على أهمية الأمة الإسلامية لإبراز مركزية مصر أو سوريا في السلم والحرب ، وأخيراً لطمأنه رأي عام محيط بإعلان أن نصر المسلمين على أعدائهم يندرج ضمن الضرورة التاريخية الموضوعية[١] وأهم الآثار العلمية للمؤرخ سيفان كتاب صغير الحجم ضم مائتي صفحة باللغة الفرنسية بعنوان الإسلام والصليبيات الصادر في باريس سنة(١٩٦٨م)[٢][٣] .

وانجز المؤرخ نيكيتا اليسيف **Nikita Elisseeff** في عقدي الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي ثلاث دراسات مهمة عن عصر الحروب الصليبية كانت الأولى بعنوان نور الدين : أمير مسلم كبير لسوريا في زمن الحروب الصليبية(٥١١-٥٦٩هـ/١١١٨-١١٧٤م) التي أصدرها المعهد الفرنسي بدمشق في ثلاثة أجزاء سنة(١٩٦٧م)[٤]وتعد من

Emmanuel Sivan , Mythes Politiques arabes , trad : de l hebreu par : Nicolas Weill. Esprit de la cite (paris:1995),p.31-35

(١) خضر، أوربا وفلسطين ، ص٦٠-٦١ .

(2) L Islam et la Croisade(paris:1968) .

(٣) وعن أهمية هذا الكتاب وقيمته العلمية التي لا تقدر بثمن قال المؤرخ شاكر مصطفى ما نصه((ذات يوم من صيف ١٩٦٩م كنت في المكتبة الشرقية في بيروت أختار بعض الكتب الفرنسية حين وقع لي كتاب صغير من مائتي صفحة اسمه الإسلام والصليبيات لمؤلف لم أسمع به بين العلماء اسمه إيمانويل سيفان ، ووضعت الكتاب بين ما اخترته من الكتب ، وسألني الكتبي وهو يضع قائمة الحساب هل أصر عليه ؟ إنه غال ؟ ووافقت ، فموضوعه ضمن اهتماماتي ، لكني لم اتصور أن يكون الثمن في ذلك العهد أربعين ليرة لبنانية . وأعترف أني صدمت ولم استطع التراجع . فكان أول ما فعلت ذلك اليوم أن أرى ما في هذا الكتاب ، وفوجئت فيه بعدد الكشوف لو دفعت ثمنها الآلاف لكان ذلك رخيصاً رخيصاً)). ينظر: التاريخ الشامي، ص١٤٣ .

(4) Nur a Din: un grand Prince Musulman de Syria au Temps des Croisades(511-569H1181-1174)Institute Franchised Damasus:1967)3Vol.

أهم الدراسات التي صدرت بالفرنسية عن السلطان نور الدين زنكي وعصره في المجالات كافة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية[١]والثانية: الشرق الإسلامي في العصور الوسطى(٦٢٢-١٢٦٠م) التي نشرت في باريس سنة(١٩٧٧م)[٢]أما الدراسة الثالثة : فكانت عن المملكة اللاتينية في القدس والحكام المسلمون في القرن الثاني عشر للميلاد خطوط كبرى للعلاقات السياسية الذي ترجم من اللغة الفرنسية الى العربية ونشر ضمن كتاب الصراع الإسلامي ـ الفرنجي على فلسطين في القرون الوسطى[٣] .

ويعد البير شامبدور **Abler Chambdor** من المؤرخين المنصفين المختصين بآثار الشرق وتاريخه وقضاياه وعشق جماله الأسطوري وحضاراته المتعاقبة ووضع مؤلفات عدة تترجم نوازع اهتماماته كان أهمها في عصر الحروب الصليبية دراسة عن القائد المسلم والبطل الأشهر في تاريخ المسلمين في العصور الوسطى الناصر صلاح الدين الأيوبي ، وقد حظي هذا الكتاب باهتمام واسع في الغرب قبل الشرق عقب صدوره في عقد السبعينيات ، وترجم من اللغة الفرنسية إلى العربية في حدود أربعمائة صفحة في بداية عقد التسعينيات ، وقدم فيه شامبدور صورة عن شخصية هذا العلم والقائد والإنسان باطار مرحلته التاريخية المهمة وكفاحه البطولي ضد الكيانات الصليبية في الشرق وفق أسلوب البحث العلمي الرصين فضلاً عن ذكره ما كابده مع الغرب الأوربي باحثاً بدراسة منهجية ما وراء الأحداث من دوافع منذ الحملة الصليبية الأولى التي أسست الكيانات الصليبية الأربع (الرها وانطاكية والقدس وطرابلس) وظهور الروح الكفاحية انطلاقاً من بقاع الشام وقيام عهد صلاح الدين محققاً الانجازات العظيمة التي زعزعت الكيانات الصليبية ومهدت عملياً لتصفيتها نهائياً في ثنايا قصة حياة هذا البطل[٤].

---

(١) عوض ، فصول ببليوغرافية،ص٩٨ .

(2)L Orient musulman au Moye age622-1260(paris:1977).

(٣) تحرير: هادية شكيل دجاني (بيروت :١٩٩٤م)، ص٢١٧-٢٥٥ .

(٤) صلاح الدين الأيوبي البطل الأنقى في الإسلام، ترجمة : سعيد أبو الحسن ، ط٢(دمشق:١٩٩٣م)، ص١٥-١٧ .

أما المؤرخ ميشيل بالار **Michel Balard** الذي برز في عقد الثمانينيات فقدم دراسة عن الغزو الصليبي للأراضي الإسلامية بعنوان الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر حتى القرن الرابع عشر الصادر في باريس(سنة١٩٨٢م)[١] وقد ترجم من الفرنسية الى لغة الضاد لأول مرة سنة(٢٠٠٣م)[٢] كما كتب بحثاً مهماً عن الدور التجاري للجمهوريات البحرية الايطالية[٣] وتعقب الباحثة دجاني على هذا البحث وتقول أن دور تلك الجمهوريات الايطالية قد تزامن مع تأسيس مملكة بيت المقدس الصليبية في فلسطين ودخلت بكل قواها وأصبحت لا مستعمرة للأرض فقط بل للبحر أيضاً وهو ما مكنها من احتكار التجارة والنقل بين أوربا والشرق الإسلامي وما يليه من مناطق باتجاه الشرق الأقصى[٤] كما أنجز كتاب مختصر الحروب الصليبية المطبوع في باريس سنة(١٩٨٨م)[٥]وللمؤرخ بالار كتاب آخر بعنوان أطلس الحروب الصليبية الصادر في باريس (سنة١٩٩٦م)الذي ذكر في مقدمته((شهدنا في الديانات الثلاث الكبرى التوحيدية ـ المسيحية واليهودية والإسلام ـ كيف انتشر تسويغ العنف الايجابي الذي هو في قلب الحروب الصليبية)) في اشارة وتبرير لاستخدام القادة الصهاينة أساطيرهم التاريخية التي أساؤوا استخدامها (الشعب المختار ، الأرض الموعودة ...الخ)) بهاجس اضفاء الشرعية على زرع أرض اسرائيل في الأرض الفلسطينية (الموصوف بالعودة)[٦] وهذا صحيح في أيامنا هذه في لاسيما ما يتعلق بالشرق الإسلامي إذ ساهمت الحروب الصليبية في خلق

---

(1)The Croisades de L Orient Latin 11-14 Century (Paris, editions Autrement:1982).

(٢) الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، ترجمة : بشير السباعي (القاهرة:٢٠٠٣م) .

(٣) الجمهوريات البحرية الايطالية والتجارة في الشام ـ فلسطين من القرن الحادي عشر حتى القرن الثالث عشر للميلاد " ، ضمن كتاب الصراع الإسلامي الفرنجي على فلسطين في القرون الوسطى ، تحرير: هادية شكيل دجاني (بيروت :١٩٩٤م)، ص١٨٠-٢١٦ .

(٤) الصراع الإسلامي الفرنجي على فلسطين في القرون الوسطى(بيروت :١٩٩٤م)، ص١٨٠-٢١٦ .

(5)Les Croisades (Paris:1988) .

(6)The Atlas des Croisades (Paris, editions Autrement:1996),p.7 .

ما سماه المستشرق الفرنسي ماكسيم رودنسون(١٩١٥-٢٠٠٤م) في كتابه مختصر الحروب الصليبية ((ذهنية القلعة المحاصرة التي تشكل موضوع هجوم أبدي غير مبرر من جانب الغرب ضد الإسلام)) وكان ذلك الكتاب قد صدر في باريس سنة(١٩٩٩م)[١] وهذا يعني أن موضوع الحرب الصليبية الذي نقلته المدرسة الأوربية الفرنسية بقي الموضوع الأول الذي استحوذ على مقدرات السياسة الغربية التوسعية نحو الشرق[٢] .

والجدير بالذكر هنا إنه بعد نهاية الحرب العالمية الثانية والعقود التي تلتها شهدت أوربا تطور آخر في مجال البحث في أيديولوجية الحروب الصليبية، ويستمر الجدل حوله حتى الوقت الحاضر، فقد اهتم قسم من المؤرخين في البحث عن جذور فكرة الحرب العادلة في التراث المسيحي وتحليل مبرراتها ومسوغاتها الفكرية والعقائدية ورأوا أن دراسة أيديولوجية الحرب الصليبية قد تجيب على بعض التساؤلات ، وهكذا أعيد النظر في دراسة الحملات الصليبية من منطلق ديني بعيد عن التفسير الذي كان سائداً في بداية القرن العشرين الذي جاء متأثراً بالفكر الماركسي الذي يؤكد على أن دوافع تلك الحملات كان اقتصاديا بحتاً ، وبدأ المؤرخون في تفنيد هذا التفسير المادي واظهار نقاط الضعف في هذه النظرية ، وفي المقابل تبنوا النظرية الدينية التي وضعها القديس اوغسطين في مقالته ((مدينة الله)) في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي واعتمد عليها البابا أوربان الثاني**Urban II** (٤٨١-٤٩٢هـ/١٠٨٨-١٠٩٩م) في دعوته إلى قيام الحرب الصليبية الأولى في دير كليرمونت بفرنسا سنة(٤٨٨هـ/١٠٩٥م)[٣] .

---

(1)**Maxime Rodinson, Collection de I histoire (Le temps des Croisades) , (paris:1999),p.98.**

(٢) خضر، أوربا وفلسطين ، ص٦١ .

(٣) حماد " تطور الكتابة التاريخية "،ج١، ص٨٤ ؛

Riley Smith , The First Crusade and The Idea of Crusading (Philadelphia :1986),p.45 .

ويعد إتيان ديلارول **Etiene Delarulle** من أوائل المؤرخين الفرنسيين الذين ناقشوا الأصول العقائدية للحملات الصليبية التي اتجهت من الغرب الأوربي لغزو الشرق الإسلامي ، ونشر كتابه المعنون فكرة الحروب الصليبية فضلاً عن مجموعة من المقالات في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي ركزت على اعتبار الدافع الديني هو العامل الأول والمحرك الأساس لاندلاع الحروب الصليبية ، كما أن فكرة الخلاص والتكفير عن الذنوب التي كانت جزء من حركة الاصلاح الديني ساهمت من وجهة نظره في تقبل الأوربيين لفكرة الحرب والانخراط للمشاركة في الحملات الصليبية ضد المسلمين[١] .

وهكذا كانت الحروب الصليبية حية حتى أيامنا هذه لدى المختصين بدراستها ، وهذه الحروب عندما كانت تشن كانت الراية الأيديولوجية هي التي ينضوي تحتها الناس بل ويموتون من أجلها ولذلك بقيت حتى اليوم كأسطورة سياسية[٢] لاسيما أن فكرة عالم المسيحية **Christendom** قد تكون فكرة مؤثرة ومنظمة وسابقة لفكرة أوربا بمدة طويلة حتى بعد أن فقدوا القدس وستبقى دراسة الحروب الصليبية تؤدي دوراً مهماً في الغرب الأوربي ونظرتهم تجاه الشرق الإسلامي، ولا زالت الفكرة قائمة ومستمرة ولها صداها في نهاية القرن العشرين تمثلت في ظهور العديد من الدراسات والمؤلفات السياسية الحديثة في الغرب الأوربي التي استخدمت مصطلح الحرب الصليبية عندما يتعلق الأمر بخلاف سياسي أو نزاع عسكري بين الغرب المسيحي والشرق المسلم ، منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب للباحث رج تكسون صدر في بريطانيا سنة(١٩٩٣م) بعد نهاية حرب الخليج الثانية(١٩٩٠-١٩٩١م) بعنوان الحملة الصليبية: القصة غير المروية عن حرب الخليج[٣] .

أخيراً وبعد هذه الدراسة المستفيضة أفرز البحث ثلاثة نتائج مهمة هي كالآتي:

---

(1)L Idee de Croisade au Moyen Ages(Turin:1980).

(٢) خضر، أوربا وفلسطين ، ص٥٨ .

(3) Rich Atkinson, Crusade: The Untold Story of the Gulf War(London:1993) .

أولاً: أن الحروب الصليبية التي مر على تاريخها أكثر من تسعمائة سنة كان لها انعكاس على أوربا بشكل عام وفرنسا بشكل خاص وفي المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

ثانيها: تصدر فرنسا ترتيب الدول العالمية الأكثر اهتماماً في دراسة الصليبيات متقدمة على المانيا وبريطانيا وايطاليا والولايات المتحدة الأمريكية في هذا المجال .

ثالثاً : الجهد الكبير والمتميز الذي بذله المؤرخون الفرنسيين عبر قرون من الزمن من خلال جمع وتحقيق كل ما يتعلق بتراث بلادهم القومي من مصادر تاريخية أصلية كتبت بلغات مختلفة ونشرها في المجموعات الضخمة الخاصة بمؤرخي الحروب الصليبية وتأسيسهم الجمعيات التاريخية والمجلات البحثية الأكاديمية وإقامتهم المؤتمرات العلمية السنوية عن الحروب الصليبية فضلاً عن انجازهم مؤلفات كثيرة ومتنوعة من كتب وبحوث ومقالات عن عصر الحروب الصليبية في مراحلها المختلفة أفادت الباحثين المختصين بها في التعرف على تلك الأعمال التي أنجزها المؤرخين الفرنسيين منذ أمد بعيد حتى نهاية القرن العشرين .

The Crusades in the Works of the French Historians till the End of the Twentieth Century: A Historiographical Study

Dr.Musab . H. Najim Al-Zaydi *

Abstract

France is one of the European countries Who takes special interest in the study history of Crusades and its Campaigns on the Islamic orient due to many reasons first of them the great role the Frenches Played in those Wars Which Lasted for two centuries, because they considered this Period as a Part of the history of France itself the second one : The literary movement flourished since the 17th.C in France itself , the third one : the imperial trend adopted by foreign politics of France .